سلسلة صدارات مجلة المجتمع

د. صلاح الخالدي

والحياة في ظلال القرآن

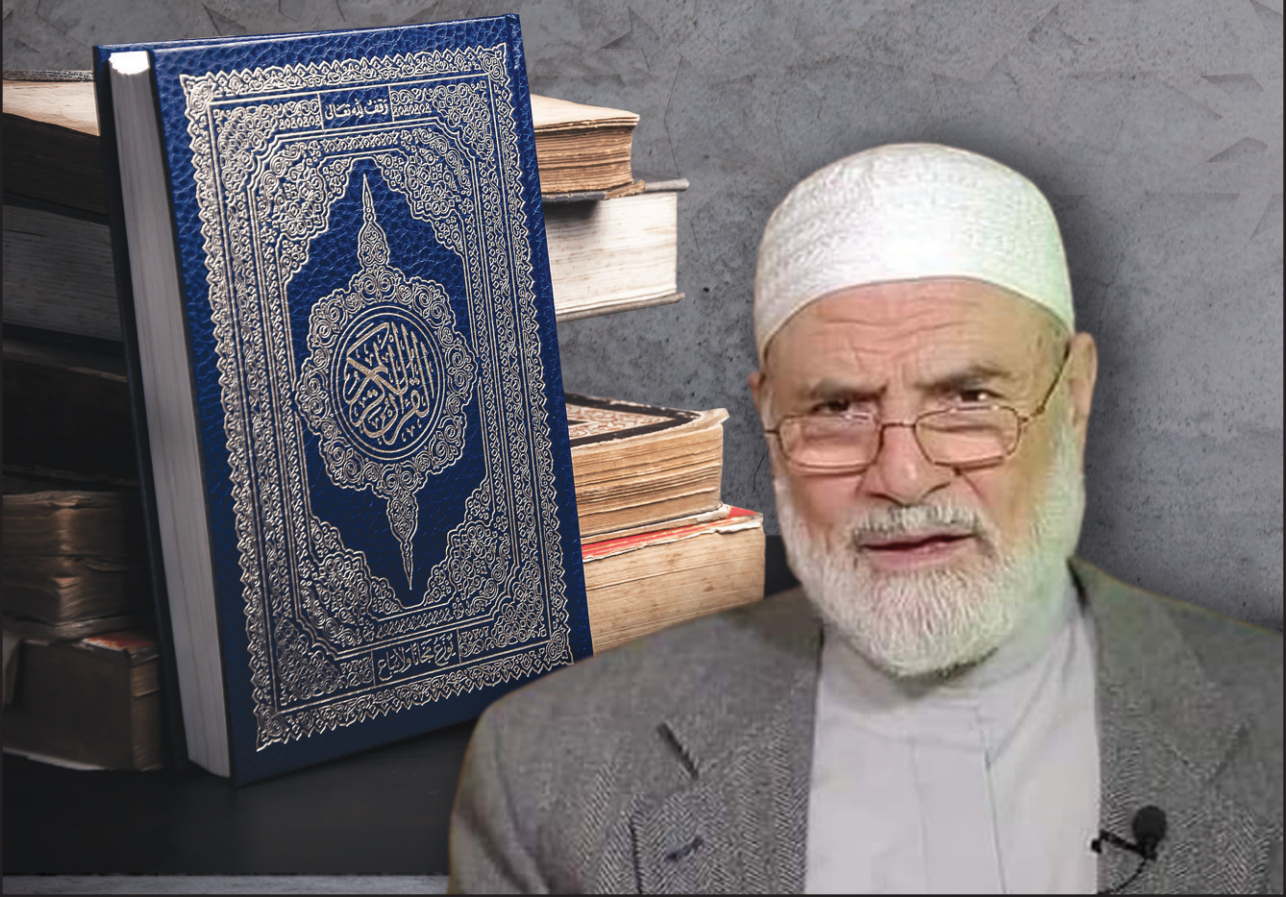

سلسلة إصدارات مجلة المجتمع

د. صلاح الخالدي

والحياة في ظلال القرآن

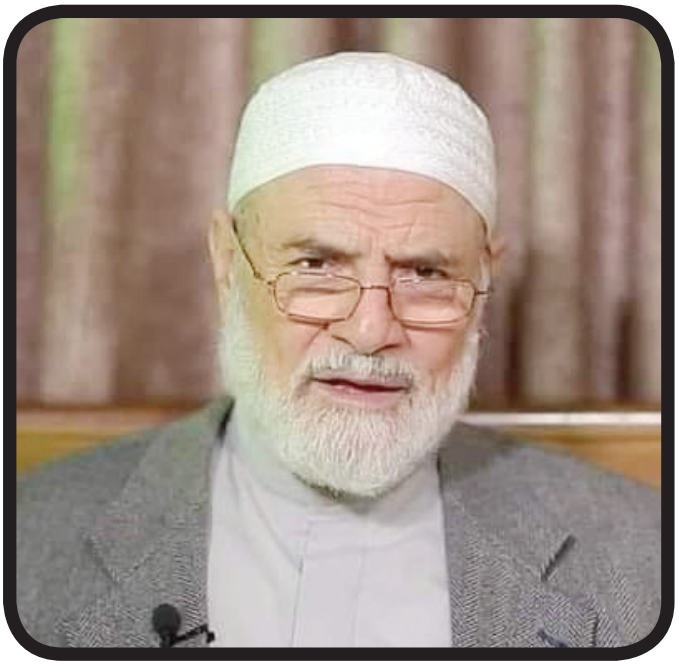

اســـــــم الكتـــــاب: د. صلاح الخالدي والحياة في ظلال القرآن
الإخـــــــــــــراج: مصطفى عزالدين
التصـحيــح اللغـــوي: رضا إسماعيل
ا لمقـــــــــــــا س : ١٧-٢٤ سم
ا لطبـــــــــــــعة : الأولى (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)

الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة - الرمز البريد (١٣٠٤٩)
الموقع الإلكتروني: www.mugtama.com
البريد الإلكتروني: info@mugtama.com
تليفون: ٢٢٥١٤١٨٠ ٩٦٥ + - ٢٢٥١٩٥٣٩ ٩٦٥+

كل الحقوق محفوظة

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة، أو أى وسيلة نشر أخرى، أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

إهـداء

إلى روح فضيلة الشيخ د. صلاح الخالدي، يرحمه الله تعالى.

إلى الابن البار د. حذيفة صلاح الخالدي، حفظه الله، والأسرة الكريمة.

إلـى طـلاب العلـم فـي أنحـاء العالـم الإسلامي.

إلـى كل من التزم الدعوة إلى الإسـلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

إلى مسلمي العالم في القارات السبع.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد بن عبدالله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

لقد أعلى الله تعالى من شأن العلم العلماء، فقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)، وقال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٧٦)، وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ٢٦٩).

ولقد اهتمت السُّنة النبوية ببيان فضل العلم والعلماء؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة» (رواه مسلم)، وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «فضلُ العالم على العابد كفضلي على أدناكم»، ثم قال صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير» (رواه الترمذي)، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَن سلك طريقاً يبتغي فيه علماً؛ سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضعُ أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالِم ليستغفرُ له مَن في السماوات ومَن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضلُ العالِم على العابد كفضلِ القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورَّثوا العلم، فمَن أخذه أخذ بحظ وافر» (رواه أبوداود والترمذي).

وشاء الله تعالى ألا يقبض العلم انتزاعاً، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء؛ فعن

عبـدالله بـن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سـمعت رسـول الله صلى الله عليه وسـلم يقول: «إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوسـاً جهالاً فسـئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» (متفق عليه).

ونحـن نـودع كل يوم عالماً مـن علماء الأمة، وكان آخر هؤلاء العلماء الشـيخ د. صلاح الخالدي، يرحمه الله تعالى، الذي غادر دنيانا الفانية، مسـاء الجمعة ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٤٣هـ/ ٢٨ يناير ٢٠٢٢م، عن أربعة وسـبعين عاماً، قضاها بالحكمة والموعظة الحسنة في خدمة التفسـير وعلـوم القرآن والدعوة إلى الله تعالى في المحافل المختلفة ووسـائل الدعوة المعاصرة.

ولقـد كان هـذا العالم الجليل مـن كُتَّاب مجلـة «المجتمع»، وحرصاً منهـا على توثيق جهوده، أصدرت هذا الكتاب الذي يجمع بين سيرته الذاتية ورثاء «المجتمع» ومقالاته التي أنار بها المجلة وجهده المبارك في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

والله من وراء القصد،،،

السيرة الذاتية للدكتور صلاح الخالدي[1]

المولد والدراسة:

ولد د. صلاح الخالدي بفلسطين في مدينة جنين، في ١٨ المحرم ١٣٦٧هـ/ ١ ديسمبر ١٩٤٧م، ودرس في جنين بالمدارس الحكومية حتى الصف الثاني الإعدادي، ثم توجه إلى الدراسة الشرعية، وانتقل إلى نابلس للدراسة في المدرسة الإسلامية، وهذه المدرسة كانت مرتبطة مع الأزهر، فكان الطلاب الأوائل يذهبون في بعثة للدراسة في الأزهر، وقد تيسر له الحصول على البعثة ثم سافر إلى القاهرة عام ١٩٦٥م.

وهناك أخذ الثانوية الأزهرية، ثم التحق بكلية الشريعة وتخرج فيها عام ١٩٧٠م، ثم عاد إلى الأردن لأن الضفة الغربية كانت قد احتلت عام ١٩٦٧م، وسجل لدراسة الماجستير عام ١٩٧٧م في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وحصل عليها عام ١٩٨٠م، ثم حصل على درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن عام ١٩٨٤م من الجامعة نفسها، وكانت الرسالة بعنوان «في ظلال القرآن دراسة وتقويم»، وأشرف عليها أيضاً أ.د. أحمد حسن فرحات، وناقشه في الرسالة عالمان مشهوران هما الشيخ مناع القطان، رحمه الله، وأ.د. عدنان زرزور، العالم القرآني المعروف.

فيقول في ذلك في حوار معه:

«فقد ولدتُ في مدينة جنين، في ١٨ المحرم ١٣٦٧هـ/ ١ ديسمبر ١٩٤٧م، ودرست في جنين بالمدارس الحكومية حتى الصف الثاني الإعدادي، ثم توجهت إلى الدراسة الشرعية، فانتقلت إلى نابلس للدراسة في المدرسة الإسلامية، ودرست فيها سنتين؛ الثالث الإعدادي والأول الثانوي، وهذه المدرسة كانت مرتبطة مع الأزهر، فكان الطلاب الأوائل يذهبون في بعثة للدراسة في الأزهر، وقد يسَّر الله لي الحصول على هذه البعثة.

سافرت إلى القاهرة عام ١٩٦٥م، وهناك أخذت الثانوية الأزهرية، ثم دخلت كلية

---

(١) للمزيد، انظر: ويكيبيديا الإخوان المسلمين.

الشـريعة وتخرجـت فيها عـام ١٩٧٠م، وعدت إلـى الأردن لأن الضفـة الغربية كانت قد احتلت عام ١٩٦٧م، ومن أبرز مشايخي في هذه المرحلة الشيخ موسى السيد، رحمه الله، أحد علماء فلسطين، وقد كان عالماً عاملاً ربانيّاً وخَرَّج من العلماء الكثير.

أمـا مصـر، فقد سـافرت إليها في عز المحنـة، وكان هناك حرب علـى العلماء وكثير منهم في السجون، ومنهم في تلك الفترة الشيخ محمد الغزالي، وسيد سابق، وعبدالحليم محمود، حيث كان لهؤلاء جهود دعوية في تلك الفترة خاصة الشيخ محمد الغزالي، وكنا نحضر محاضراته في مختلف مناطق القاهرة.

ثم سجلت لدراسة الماجستير عام ١٩٧٧م في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وكانت الرسـالة التي قدمتها بعنوان «سـيد قطب والتصوير الفني في القرآن»، وجاءت في قسـمين؛ الأول عن حياة سـيد قطب، والثاني عن التصوير الفني في القرآن، وتمت المناقشـة عام ١٩٨٠م، وتألفت اللجنة من أ.د. أحمد حسـن فرحات مشـرفاً، وأ. محمد قطب مناقشاً، والشيخ محمد الراوي، العالم المصري المعروف، مناقشاً.

وكانت قاعة المناقشـة ممتلئة بالحضور، وجاء عدد كبير منهم ليسـمع كلام أ. محمد قطب، الذي أخجلني وهو يثني على الرسالة والجهد المبذول فيها، حتى إنه قال: لو تقدم الطالب بالقسـم الأول من الرسالة فقط لاسـتحق الماجستير عن جدارة! وهذا من فضل الله عليَّ، وأسأله القبول سبحانه.

ثـم حصلت على درجة الدكتوراه في التفسـير وعلوم القرآن عام ١٩٨٤م من الجامعة نفسـها، وكانت الرسـالة بعنوان «في ظلال القرآن دراسـة وتقويم»، وأشرف عليها أيضاً أ.د. أحمد حسن فرحات، وناقشني عالمان مشهوران هما الشيخ مناع القطان، رحمه الله، وأ.د. عدنان زرزور، العالم القرآني المعروف».

الوظائف الدعوية والعلمية:

عـين واعظـاً بـوزارة الأوقاف فـي مدينة الطفيلـة بـالأردن، وعمل مراقبـاً للتوجيه الإسلامي (مساعد مدير أوقاف) في عام ١٩٧٤م بمدينة السلط، ثم عُيِّن في كلية العلوم الإسـلامية في عمَّان فـي عام ١٩٨٠م بعد حصوله على الماجسـتير وبقي فيها حتى عام

١٩٩١م، وكان عميداً لها في آخر سنتين، ثم أصبح مدرساً في كلية أصول الدين- جامعة البلقاء التطبيقية.

وخلال الفترة من عام ١٩٨١ - ١٩٩٤م عمل خطيباً وإماماً في مسجد عبدالرحمن بن عوف في منطقة صويلح بعمَّان.

علاقته بجماعة الإخوان المسلمين:

يقول حول هذه العلاقة:

أذكر وأنا في الصف الثاني الإعدادي بمدرسة جنين، تعرفت على بعض أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، وكانوا يأخذونني لشعبة الإخوان بجنين لنقرأ القرآن والصحف وغيرها من الأنشطة.

تعرَّف إلى جماعة الإخوان وعمره كان ١٣ عاماً، حيث التقى بقادة الإخوان بجنين أمثال الشيخ فريد جرار، وتوفيق جرار.

كانت التربية والنشأة الدينية لدى الشيخ هي الدافع القوي الذي جعله يسلك درب الإخوان، حيث التحق بهم في عام ١٩٦٣م، وظل معهم وقد حدث بعض الاختلاف في وجهات النظر في بعض القضايا فترك الجماعة على إثرها (إلا أنه عاد مرة أخرى إلى أحضان الجماعة).

المشايخ الذين تتلمذ على أيديهم:

١- الشيخ موسى السيد، رحمه الله، أحد علماء فلسطين.

٢- الشيخ محمد الغزالي.

٣- الشيخ سيد سابق

٤- الشيخ عبدالله الغديان، عضو هيئة كبار العلماء.

٥- د. مصطفى مسلم، وهو من العلماء السوريين المعروفين.

٦- د. محمد قطب، الذي أشرف له على رسالة الماجستير.

وقد تأثر الشيخ تأثراً كبيراً بالشيخ سيد قطب، وكانت صلته بالشيخ صلة محبة وتلمذة، أما الصلة الشخصية فلم يكن بين الشيخ صلاح وأ. سيد قطب صلة شخصية.

ويصف ذلك بقوله: كانت علاقتي بالشهيد سيد قطب علاقة محبة وتلمذة، أما صلة شخصية فلم يكن بيني وبين أ. سيد قطب صلة شخصية، لم ألتق معه لأني عندما سافرت إلى مصر، كان سفري في سبتمبر ١٩٦٥م، وكان سيد قد اعتقل في يوليو من العام نفسه، وبعدها أعدم، فلم ألتق معه لقاء شخصيّاً إنما تتلمذت على كتبه، قرأتها كلها.

لما سافرت للقاهرة كان قد وقع في محنة فزاد إعجابي بالرجل، فأقبلت على كتبه، رغم أنها كانت ممنوعة وغير متوفرة في المكتبات، لكن كنا نحصل عليها عن طريق بعض الزملاء والمعارف وبطرق خاصة.

أما أول كتاب قرأته للشيخ سيد فله قصة؛ كنت في المدرسة أحب القراءة والمطالعة، وكنت أتردد على مكتبة المدرسة، فاستهواني اسم كتاب بعنوان «مشاهد القيامة في القرآن»، ومؤلفه سيد قطب، قبل ذلك لم أكن قد سمعت عنه، فأعجبني اسمه «سيد» و«قطب»، وعنوان الكتاب أعجبني، فاستعرت الكتاب من المكتبة وأخذته إلى البيت وقرأته، وأعترف أنني لم أفهم معظم ما فيه إلا أنها كانت أول مرة أسمع فيها عن سيد وأقرأ له.

وحينما استشهد أ. سيد قطب، وكان د. صلاح الخالدي في القاهرة في ذلك التوقيت فيصف شعوره بقوله: حقيقة حزّ في نفوس الجميع استشهاد سيد، كان استشهاده في ٢٩ أغسطس ١٩٦٦م، فتألمنا جميعاً، وأذكر منظراً لا أنساه، فقبل استشهاده كنا في كافتيريا المدينة الجامعية في الأزهر، وفيها تلفاز، وكنا نجلس نستمع لنشرة أخبار الساعة الثامنة مساءً، وفي النشرة عرضوا صورة سيد قطب عندما خرج من السجن لتنفيذ حكم الإعدام عليه، فسلّم على جميع الضباط والجنود الموجودين وصافحهم واحداً واحداً، ولما وقف على باب السجن، صافح الواقفين، وكانت سيارة السجن تنتظره، فركب السيارة والتفت للخلف وحياهم جميعاً، وابتسامته الكبيرة التي انتشرت بعد ذلك في الصحف، كان منظراً مؤثراً، وهذا ردّ على من يقول: إن سيداً كان رجلاً مكتئباً وسوداويّاً، بالعكس كان وجهه مشرقاً في الصورة، وكان يسلم على أعدائه الذين حاربوه وعذّبوه، ومع ذلك

كان يسعهم بقلبه الكبير.

وأذكـر أننـي في يوم استشـهاده كنت في البيت ولم أخـرج، كان من الصعب أن يخفي أحدنا حزنه وألمه على ما جرى، لكن رجال البوليس المصري آنذاك كانوا يحاسبون الناس على عواطفهم، ففي اليوم التالي لاستشـهاده، رأيناهم يعتقلون أي رجل ملتزم تبدو عليه مظاهر الحزن لما حدث! وهذه قمة السوء؛ أن تحارب الناس على عواطفهم.

مؤلفاته:

عدد المطبوع من مؤلفاته بلغ ٤٥ كتاباً، وهي:

١- سيد قطب الشهيد الحي.

٢- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب.

٣- أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب.

٤- مدخل إلى ظلال القرآن.

٥- المنهج الحركي في ظلال القرآن.

٦- في ظلال القرآن في الميزان.

٧- مفاتيح للتعامل مع القرآن.

٨- في ظلال الإيمان.

٩- الشخصية اليهودية من خلال القرآن.

١٠- تصويبات في فهم بعض الآيات.

١١- مع قصص السابقين في القرآن ١-٣.

١٢- البيان في إعجاز القرآن.

١٣- ثوابت للمسلم المعاصر.

١٤- إسرائيليات معاصرة.

١٥- سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد.

١٦- لطائف قرآنية.

١٧- هذا القرآن.

١٨- حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية.

١٩- الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد.

٢٠- التفسير والتأويل في القرآن.

٢١- الأتباع والمتبوعون في القرآن.

٢٢- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق.

٢٣- الخطة البراقة لذي النفس التواقة.

٢٤- تفسير الطبري تقريب وتهذيب ١-٧.

٢٥- الرسول المبلغ صلى الله عليه وسلم.

٢٦- القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث ١-٤.

٢٧- تهذيب فضائل الجهاد لابن النحاس.

٢٨- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين.

٢٩- القبسات السنية من شرح العقيدة الطحاوية.

٣٠- سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد.

٣١- صور من جهاد الصحابة.

٣٢- إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني.

٣٣- مواقف الأنبياء في القرآن: تحليل وتوجيه.

٣٤- سعد بن أبي وقاص: المجاهد الفاتح.

٣٥- الحرب الأمريكية بمنظار سيد قطب.

٣٦- سيرة آدم عليه السلام: دراسة تحليلية.

٣٧- بين الإسلام الرباني والإسلام الأمريكاني

٣٨- عتاب الرسول في القرآن: تحليل وتوجيه.

٣٩- وعود القرآن بالتمكين للإسلام.

٤٠- حديث القرآن عن التوراة.

٤١- جذور الإرهاب اليهودي في أسفار العهد القديم.

٤٢- سفر التكوين في ميزان القرآن ١-٢.

٤٣- تهافت فرقان متنبئ الأمريكان أمام حقائق القرآن.

٤٤- الأعلام الأعجمية في القرآن: تحليل وتوجيه.

٤٥- الكليني وتأويلاته الباطنية للآيات القرآنية في أصول الكافي.

رثاء مجلة «المجتمع» للشيخ د. صلاح الخالدي[1]

صلاح الخالدي.. رجل القرآن وصاحب سيد قطب

انعقد لساني عن الكلام، وكُبِّلتْ يداي عن الكتابة حين سمعت خبر وفاة العالم الجليل والداعية الرباني الكبير د. صلاح عبدالفتاح الخالدي، الذي غادر دنيانا الفانية مساء الجمعة ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٤٣هـ/ ٢٨ يناير ٢٠٢٢م عن أربعة وسبعين عاماً، قضاها بالحكمة والموعظة الحسنة في خدمة التفسير وعلوم القرآن والدعوة إلى الله تعالى في المحافل المختلفة ووسائل الدعوة المعاصرة.

وكيف لا ينعقد اللسان وتُكبل الأيدي، وللموت هيبة وخشوع أمام رحيل الكبار، وله رهبة وخضوع أمام وفاة العظماء، من أمثال صلاح الخالدي، الذي تبكيه العيون، وتحزن عليه النفوس، وتفتقده الجامعات والجوامع، ولكنا أرق من الشعرة أمام قضاء الله وقدره، ولا نملك إلا الرضا بقضائه غير ممتنعين عن الاستجابة لدواعي النفس البشرية من البكاء حزناً على رحيل الربانيين من أمثاله، وقليل ما هم!

بطاقة حياة:

ولد د. صلاح عبدالفتاح الخالدي في مدينة جنين بفلسطين في ١٨ المحرم ١٣٦٧هـ/ ١ ديسمبر ١٩٤٧م، وبدأ طلب العلم بحصوله على بعثة للأزهر عام ١٩٦٥م، وهناك أخذ الشيخ الثانوية الأزهرية، ثم دخل كلية الشريعة وتخرج فيها عام ١٩٧٠م، ثم درس الماجستير عام ١٩٧٧م في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وكانت الرسالة التي قدمها بعنوان «سيد قطب والتصوير الفني في القرآن»، وجاءت في قسمين؛ الأول عن حياة سيد قطب، والثاني عن التصوير الفني في القرآن، وتمت المناقشة عام ١٩٨٠م، وتألفت اللجنة من أ.د. أحمد حسن فرحات مشرفاً، وأ. محمد قطب مناقشاً،

(١) كتبه: د. وصفي عاشور أبو زيد، أستاذ مقاصد الشريعة الإسلامية، وتم نشره في العدد (٢١٦٤).

والشـيخ محمد الراوي مناقشـاً، كما كانت رسـالته للدكتوراه بعنوان «في ظلال القرآن.. دراسـة وتقويم»، وحصل الشـيخ بها على درجة الدكتوراه في التفسـير وعلوم القرآن عام ١٩٨٤م من الجامعة نفسها، وأشرف عليها أيضاً أ.د. أحمد حسن فرحات، وناقشه الشيخ مناع القطان، وأ.د. عدنان زرزور، ومن أبرز المشايخ الذين تتلمذ على يديهم الفقيد الشيخ موسى السيد، أحد علماء فلسطين، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ عبدالحليم محمود، وغيرهم كثيرون.

وعمل الشيخ في العديد من الجامعات أستاذاً ومعلماً ومربياً، وكان عضو هيئة علماء فلسـطين، وظـل يدعو إلـى الله تعالى ويعلم القـرآن ويبث هداياته فـي الناس من خلال المنابر المتعددة والمنابر والوسـائل الإعلامية الحديثـة المعاصرة، ويدافع عن الحق وأهله، متسلحاً في هذا كله بالقرآن الكريم وهداياته وحقائقه التي كان يبثها في الناس.

مؤلفاته ومحاور مشروعه القرآني:

تـرك الخالـدي تراثـاً عظيماً قارب الخمسـين كتاباً، جلها في خدمـة القرآن الكريم وتفسيره وبلاغته واستنزال هداياته من خلال دراسة موضوعات متنوعة في ضوئه وتحت رايته، وترسـيخ العقيدة القرآنية في قلوب المسلمين، والدفاع عنه ضد شبهات المنحرفين ومطاعـن أعدائـه ومنتقديـه، وخدمة الجهاد وقضية فلسـطين، ويمكننـا أن نوزع منجز الخالدي على المحاور الثمانية الآتية:

المحور الأول: سيد قطب وخدمة تفسيره:

تأثـر الخالدي تأثراً كبيراً بالشـيخ أ. سـيد قطب، رحمهمـا الله تعالى، وكانت صلته بالشـيخ صلـة محبة وتلمـذة، أما الصلة الشـخصية فلم يكن بين الشـيخ صلاح وبين أ. سـيد قطب صلة شـخصية، إنما تتلمذ الشيخ على كتبه، حاشـا أخاه محمد قطب الذي صاحبه وناقشـه في رسـالته للماجسـتير، كان يحيل عليه في كل ما يتعلق بسـيد قطب، فكان الأستاذ محمد، رحمه الله تعالى، إذا سئل عن شيء يتعلق بسيد قطب يقول للناس: «اسألوا الشيخ صلاح الخالدي؛ فهو أعلم به مني»!

وإذا كان كثير من العلماء المحققين اهتموا بعَلَمٍ من أعلام الأمة ودراسة تراثه وتحقيق كتبه، مثل د. عبدالعظيم الديب الذي اهتم بالجوينيٍ، ود. محمد رشاد سالم الذي اهتم بابن تيمية، ود. محمد بن الحسن السليماني الذي اهتم بابن العربي المالكي، فقد عاش فقيدنا الكبير جل حياته في ظلال كتب سيد قطب وتقريبها ودراستها، حتى إن رسالتيه للماجستير والدكتوراه كانتا -كما سبقت الإشارة- عن سيد قطب، رحمهما الله تعالى، وما أنجزه من مؤلفات -في مجملها- كانت من وحي القرآن والظلال.

ومن الكتب التي ألفها عن سيد قطب وتراثه التفسيري والفكري: «سيد قطب الشهيد الحي، ونظرية التصوير الفني عند سيد قطب (ماجستير)، ومدخل إلى ظلال القرآن (دكتوراه)، والمنهج الحركي في ظلال القرآن، وفي ظلال القرآن في الميزان، وسيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، وسيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد، والحرب الأمريكية بمنظار سيد قطب، وأمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب، وبين الإسلام الرباني والإسلام الأمريكاني».

والحق أن بدايات الانشغال العلمي للخالدي بقطب كانت مفتاح حياته العلمية ومبعث العطاء التصنيفي والدعوي للخالدي، وهذا هو مفتاح شخصيته التأليفية إن أردنا البحث عن هذا المفتاح، فقد كان للظلال وعالم سيد قطب الرحيب أثر كبير في «منجز» الخالدي القرآني والتفسيري والدعوي فيما كتبه من كتب، وقدمه من خطب، ودبجه من مقالات، وألقاه من محاضرات، ودفعه من شبهات، حتى إنه في غالب كتبه، ومنها كتاباه الكبيران «مع قصص السابقين في القرآن»، ثم «القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث»، كان يورد في ختام كل قصة رأي سيد قطب!

المحور الثاني: التفسير الموضوعي:

قدم الخالدي في مجال التفسير الموضوعي مؤلفاتٍ تستحق الدراسة والتحليل، وكانت ثمرة لدراسته كتاب «في ظلال القرآن»، ولهذا نجد هذه اللفظة «ظلال» مُضمَّنة في عدد من عناوين كتبه، ومما نشره في مجال التفسير الموضوعي كتاب عن التفسير الموضوعي بوصفه عِلماً من علوم التفسير وهو التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، أما

الدراسات الموضوعية فمنها: الأتباع والمتبوعون في القرآن، وعتاب الرسول في القرآن: تحليل وتوجيه، ووعود القرآن بالتمكين للإسلام.

وقد تناول الخالدي هذه الموضوعات في ضوء القرآن، وفي ظل منهج التفسير الموضوعي المقرر باستقراء الآيات القرآنية المتعلقة به، ودراستها وبيان معالمها؛ مستعيناً في ذلك بكتب التفسير وعلى رأسها «في ظلال القرآن» للأستاذ سيد قطب.

المحور الثالث: التفسير وعلومه:

ولما كان د. صلاح الخالدي متخصصاً في التفسير وعلوم القرآن، فقد ضمَّن منجزه مؤلفاتٍ في التفسير وعلوم القرآن: تأليفاً وتهذيباً، ومن ذلك: التفسير والتأويل في القرآن، وتعريف الدارسين بمناهج المفسرين، وتفسير الطبري تقريب وتهذيب (سبعة أجزاء)، وهذا الجانب من عطاء الشيخ -كما بقية الجوانب- يستحق الدراسة والتحليل والتقويم. وقد يدخل هنا كتابه عن التفسير الموضوعي بوصفه علماً من علوم القرآن، وهو البوابة الكبرى للتعامل النافع مع القرآن الكريم في واقعنا المعاصر.

المحور الرابع: الإيمان في ظلال القرآن:

تحدث الخالدي حديثاً فياضاً شفافاً منيراً عن الإيمان أو العقيدة في ضوء القرآن، وضمَّن هذا المحور لطائف قرآنية وحقائق إيمانية، وثوابت تربوية للمسلم المعاصر، ومن ذلك كتبه: في ظلال الإيمان، وثوابت للمسلم المعاصر، والخطة البراقة لذي النفس التواقة، والرسول المبلغ، والقبسات السَّنية من شرح العقيدة الطحاوية.

وهذا المحور وما تضمنه من مؤلفات يغلب عليه الجانب الوعظي والدعوي، استهدف فيه تعزيز الإيمان وتقويته لدى عموم المسلمين، وذلك لما لمسه الشيخ من حاجة ماسة للمسلمين المعاصرين إلى هذا الجانب، وهكذا يجب أن يلبي العالم المسلم حاجات زمانه، ويكون صدى لمشكلات عصره، على ضوء من نور القرآن الكريم وبث هداياته في العقول والقلوب.

المحور الخامس: بيان القرآن وإعجازه ولطائفه:

في هذا المحور يقدم الخالدي وجبة ثرية مشبعة للروح، ومهذبة للوجدان، ومرسِّخة للإيمان بربانية القرآن، ومؤسِّسة لمنهج التذوق للبلاغة القرآنية والتعامل السليم مع القرآن، ومما كتبه مما يندرج تحت هذا المحور: مفاتيح للتعامل مع القرآن، والبيان في إعجاز القرآن، ولطائف قرآنية، وهذا القرآن، وإعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، والأعلام الأعجمية في القرآن: تحليل وتوجيه، ووقفات مع بعض الآيات.

وما أحوج الدعاة إلى الله تعالى اليوم إلى الإفادة من هذا المحور، والتوسع فيه، فالمسلمون اليوم بحاجة قبل أي وقت مضى إلى الرجوع للقرآن، والصدور عنه والتلقي الصحيح منه، ومدخل هذا هو هذه اللطائف القرآنية، والملامح البلاغية، والمعالم الإعجازية والبيانية، والإشارات الإيمانية.

المحور السادس: القصص القرآني والتاريخ الإسلامي:

ترك الخالدي إنتاجاً طيباً في مجال القصص القرآني، مستفيداً بدراساته القرآنية في تصنيف هذه الكتب وتبويبها وتحليلها، وبيان الفوائد الإيمانية والدروس الدعوية من خلال هذا القصص.

ومما كتبه هنا: مع قصص السابقين في القرآن (ثلاثة أجزاء)، والقصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (أربعة أجزاء)، ومواقف الأنبياء في القرآن: تحليل وتوجيه، والخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد، وسعد بن أبي وقاص: المجاهد الفاتح، وسيرة آدم: دراسة تحليلية.

وكان في هذه الدراسات مستفيداً بشكل واضح من «ظلال القرآن» لسيد قطب، كما كان يرجع ويستفيد من سائر مصادر التفسير، بالإضافة إلى بصماته الخاصة وتحليلاته المفيدة من خلال تجربته الواسعة وعلمه الفياض، وهذا من بركات التعامل مع القرآن الكريم.

المحور السابع: الجهاد واليهود واليهودية وقضية فلسطين:

عاش الشيخ صلاح الخالدي مسكوناً بحب فلسطين والدعوة إلى قضيتها والحديث حولها والدفاع عنها، وقد دل على ذلك ما تركه من مؤلفات في هذا الجانب؛ فضلاً عن محاضراته وأنشطته العلمية والدعوية والإيمانية في هذا الجانب المهم، الذي يمثل مرتكزاً واضحاً في منجزه العلمي ومشواره الدعوي، كيف لا وهو المولود فيها، والمترعرع على أرضها المباركة؟

وقد تنوع عطاؤه في هذا الجانب بين مؤلفات عن الجهاد، ودراسات عن اليهود واليهودية، سواء من خلال دراسة أسفار اليهود، أو بيان رؤية القرآن الكريم عنهم وعن فلسطين، ومن ذلك «على طريقة اللف والنشر": تهذيب فضائل الجهاد لابن النحاس، وصور من جهاد الصحابة، وجذور الإرهاب اليهودي في أسفار العهد القديم، وسفر التكوين في ميزان القرآن (جزآن)، والشخصية اليهودية من خلال القرآن: تاريخ وسمات ومصير، وحديث القرآن عن التوراة، وإسرائيليات معاصرة، وحقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية.

المحور الثامن: الدفاع عن القرآن:

لا يكتمل مشروع من المشروعات حتى يبين الفكرة، ويقيم عليها الحجة، ويدفع عنها الشبهة، وقد قدم الخالدي في مشروعه القرآني والدعوي بياناً لفكرته، وأقام الحجج القرآنية الدامغة عليها، وها هو في هذا المحور يقدم ما يُكمل دائرة مشروعه في الدفاع عن القرآن وبيان حقائقه القاطعة ودحض أباطيل خصومه.

ومما كتبه في ذلك: القرآن ونقض مطاعن الرهبان، والكليني وتأويلاته الباطنية للآيات القرآنية في أصول الكافي، وتهافت فرقان متنبئ الأمريكان أمام حقائق القرآن، وتصويبات في فهم بعض الآيات.

وفاته:

أصيب د. صلاح الخالدي بوباء العصر كورونا الذي أفقدَنا عشرات العلماء الكبار، وكان ابنه د. حذيفة قد نشر منشوراً عن تحسن حالته الصحية من إصابته بالفيروس قبل وفاته ببضع ساعات، ولكنها -كما بدا لاحقاً- كانت إفاقة ما قبل الوفاة، فما هو إلا أن وافانا الخبر الصاعقة برحيله إلى دار الحق والبقاء؛ حيث لا ألم ولا معاناة، ولا اختبارات ولا ابتلاءات، وحيث الفرح بلقاء الشهداء والصالحين، ومنهم صاحبه سيد قطب، غير أنه برحيله خلَّف وراءه حزناً عميقاً، وحسرة كبيرة؛ إذ تبكيه المساجد والجامعات، ويفتقده طلاب العلم والطالبات، وتشتاق إليه المجالس والحلقات، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

ظل الفقيد الكبير عالماً عاملاً، وداعية ربانياً، مرابطاً على ثغور القرآن وتفسيره وعلومه، وناشراً هداياته في الناس، ومدافعاً عن فلسطين وقضيتها حتى وافاه الأجل في التاريخ المذكور متأثراً بفيروس كورونا، وصلَّت الجنازة عليه جماهير غفيرة من أهل الأردن وغيرها بعد صلاة العصر من اليوم التالي لوفاته، يوم السبت ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٤٣هـ/ ٢٩ يناير ٢٠٢٢م في مسجد «الفريد» فريد الخليل، في صويلح، ودفن في مقبرتها الغربية، مقابل مسجد الحاجة صابرية في المملكة الأردنية، رحمه الله تعالى وغفر له، وأنزله منازل الأبرار.

وصية أخيرة:

وإذا كان هناك من وصية في نهاية هذا المقال، فإنني أتوجه بها إلى فئتين؛ فئة الجماهير التي أفادت من علمه ومحاضراته بأن تُقبل على كتبه وتعلمها للناس وتدرسها وتتدارسها وتنتفع بما فيها من علم وتربية وفكر وجهاد، والفئة الأخرى هي فئة طلاب الدراسات العليا التي أطلب منها أن تدرس «المنجز» القرآني المتكامل للخالدي، فكل محور من المحاور التي ذكرناها هنا يستحق رسالة علمية، ولعل عنده من الكتب والمشروعات ما لم يكمله، وهذا واجب أسرته وعلى رأسهم ابنه البار د. حذيفة، كما أن له مسموعات كثيرة تستحق من طلابه ومريديه العكوف عليها وتفريغها وتصنيفها ونشرها، وبهذا يكون الوفاء للعلماء وتخليد ذكراهم بنشر علمهم، فالناس موتى وأهل العلم أحياء.

العدالة الاجتماعية في الإسلام

بقلم صلاح عبد الفتاح الخالد

كتاب
العدالة الإجتماعية في الإسلام
هل تخلى عنه
سيد قطب

هناك اشاعة تتردد على ألسنة بعض جنود الحركة الاسلامية في هذه الايام، وهي ان الامام الشهيد سيد قطب، وفي اخريات ايامه في هذه الحياة، قد أعلن عن تخليه عن بعض بحوثه ودراساته الاسلامية، التي اصدرها في المرحلة الاولى من حياته الاسلامية، مثل «التصوير الفني في القرآن» و«مشاهد القيامة في القرآن» و«العدالة الاجتماعية في الاسلام» و«معركة الاسلام الرأسمالية».. وغيرها..

وسبب تخليه عنها ـ كما يقولون ـ هو ان في بعضها اتجاهات باطلة ناتجة عن بقايا رواسب الجاهلية في فكره، او ان بعضها قد استنفذ اغراضه، بانتهاء الظروف والملابسات التي ألف فيها!!

وبما ان كتاب «العدالة الاجتماعية في الاسلام» قد أدرجه هؤلاء، ضمن القائمة المذكورة، وبما ان الحقيقة على العكس من ذلك تماما!! فسأتناوله هنا من زاويتين:

الزاوية الاولى: ذكر قصة تأليفه، والجو الذي ألف فيه!!

الزاوية الثانية: إقامة الدليل على انه تناوله بالتنقيح، واضاف اليه آخر افكاره الحركية!!

قصة تأليفه:

اقبل سيد قطب على القرآن الكريم، يقرأ آياته و يتذوقها لاغراض ادبية وفنية وجمالية، وخرج من هذا بنتائج ادبية وفنية رائعة ممتعة، أثبتها في كتابيه «التصوير الفني في القرآن» و«مشاهد القيامة في القرآن».

وكان ـ اثناء دراسته الادبية للقرآن ـ قد فوجيء بوجود قواعد ومناهج كاملة فيه، تصلح أساسا لاقامة حياة عادلة، وانشاء مجتمعات سعيدة، فكان يكتب عنها ملاحظات سريعة، و يتركها جانبا، ليعود اليها بعد الانتهاء من دراساته الادبية. وما ان فرغ من كتابيه المشار اليهما سابقا، حتى اقبل على ملاحظاته جامعا منسقا، وعلى القرآن الكريم دارسا متعمقا، فكان كتابه الاول في الفكر الاسلامي «العدالة الاجتماعية في الاسلام».

الجو العام الذي ألف فيه:

اختار سيد قطب ميدان العدالة الاجتماعية، بهدف بيان منهج القرآن الكريم في اقرارها، وطريقته في تحقيقها، وذلك لان مصر كانت تعيش في مرحلة اجتماعية حرجة، حيث خرجت من الحرب العالمية الثانية محطمة اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ونفسيا، وتزلزلت بنية المجتمع المصري، وظهرت فيه طبقة مستغلة جديدة، هي طبقة اغنياء الحرب والمستغلين اللصوص، بالاضافة الى الطبقات الاخرى مثل جماعة القصر والاقطاعيين والباشوات وكبار الملاك، التي استحوذت على غالبية ثروة البلاد.

وبقيت غالبية الشعب المصري، تعيش في فقر مدقع، وتحرم من ابسط حقوقها في الحياة، فحدثت هزات اجتماعية، وانتشر اللصوص وقطاع الطرق، وكان الشعب يئن تحت وطأة هذا الظلم الاجتماعي.

وفي هذا الجو الموبوء، نشط الشيوعيون في الدعاية لمذهبهم، وراحوا يمنون جماهير العمال والفقراء، والفلاحين المعدمين، بجنتهم الموهومة، فأقبل عليهم المحرومون طمعا في ما يعدونهم به.

كان سيد قطب يعيش هذه المأساة، وتزعجه المظاهر الاجتماعية التائهة في المجتمع، و يأسى لجماهير المخدوعين الذين استغفلتهم الشيوعية، فراح يبشر بالعدالة الاجتماعية الاسلامية، التي وضع يديه على خطوطها العريضة في القرآن الكريم. وأنشأ ـ لهذه الغاية ـ مجلة «الفكر الجديد»، التي مولها الحاج محمد حلمي المنياوي ـ وعضو مكتب الارشاد لجماعة الاخوان المسلمين، وصاحب دار الكتاب العربي بمصر ـ وكان سيد قطب عنيفا في نقده للمظاهر الاجتماعية التائهة، وفي كشفه مَنْ وراءها من القصر الملكي والاحزاب والطبقات، وفي حربه للشيوعية ونقدها وتعريتها.

ثم ألف كتابه «العدالة الاجتماعية في الاسلام» و بين فيه طبيعة العدالة في

الاسلام، والأسس التي ارساها الاسلام عليها، ووسائله في تحقيقها، كما تحدث عن سياسة الحكم وسياسة المال في الاسلام، وعن حق الملكية الفردية وطبيعتها. ووسائل التملك الفردي، وطرق تنمية الملكية، وطرق الانفاق.. وغير ذلك.

الاثر الذي أحدثه الكتاب:

وقد أحدث الكتاب –فور صدوره– آثارا مختلفة، وأثار ضجة في مختلف الاوساط: فالاوساط الشيوعية اعتبرته عدوها الرئيسي، لانه يفتح عيون الشعب المحروم المظلوم، على باب جديد للعدالة الاجتماعية، غير الباب الذي يدعون هم اليه.

والاوساط الحكومية، اعتبرته انتصارا لخصومهم «الاخوان المسلمون» الذين كانوا في هذا الوقت خلف اسوار المعتقلات، وفي اقبية السجون، لذلك صادرت الحكومة الكتاب، بسبب الاهداء، حيث أهداه سيد قطب الى جنود الاسلام، الذين كان يلمحهم بعين خياله قادمين، فظنت انه يعني بهم شباب الاخوان المسلمين، ولم تفرج عن الكتاب الا بعد حذف الاهداء.

والاوساط الاسلامية –وبخاصة الاخوان المسلمون– اعتبرته فتحا جديدا في المكتبة الاسلامية، ونصرا مؤزرا للفكر الاسلامي في صراعه مع الفكر الجاهلي، وارهاصا لانضمام صاحبه الى الحركة الاسلامية!!

وقد سلم سيد قطب الكتاب، الى شقيقه محمد ليشرف على طبعه، لأنه كان في طريقه الى امريكا، موفدا من وزارة المعارف المصرية!!

وصدرت طبعته الاولى في ابريل (نيسان) عام ١٩٤٩، والثانية عام ١٩٥١.

وقد اعطى سيد قطب الكتاب –وهو في امريكا– الى المجلس الامريكي للدراسات الاجتماعية، ليترجم الى الانجليزية حيث ترجمه المستشرق يوحنا «جون. ب. هاردي» الاستاذ بجامعة هالفكس بكندا، وصدرت ترجمته عام ١٩٥١.

وكان أحد رجال قلم المخابرات البريطاني في امريكا، وهو «جون هيوورث رن» قد عرض على سيد قطب ان يقوم بترجمته الى الانجليزية، مقابل مبلغ عشرة آلاف دولار، ولكن سيد رفض الاغراء، وأثر ان يعطيه مجانا الى المجلس الامريكي للدراسات الاجتماعية!!

الطبعة المتداولة حاليا هي الطبعة المنقحة!!

كان سيد قطب –في اخريات ايامه– قد وعد باصدار طبعة منقحة لكتاب العدالة الاجتماعية في الاسلام يحذف منها الافكار والاتجاهات الباطلة، التي علقت في فكره من رواسب الجاهلية، والتي تبين له خطؤها فيما بعد!!

وظن البعض ان الطغيان عجل بازهاق روحه الطاهرة، قبل تنفيذ ما وعد به، ولذلك فإن الطبعة السادسة من الكتاب، وهي الصادرة من دار احياء الكتب العربية في مصر عام ١٩٦٤ –والتي صورت عنها طبعات عديدة بعد استشهاده، آخرها طبعة دار الشروق– وهذه الطبعة –في رأيهم– ما هي الا صورة عن طبعات الكتاب الاولى، ولذلك دعوا الى الزهد في الكتاب، وعدم الاقبال عليه، لأن صاحبه لم يتمكن من تنقيحه قبل استشهاده، ولم يضف اليه آخر آرائه الحركية!!

لذلك حرصت على التحقيق من هذه الدعوى، فبذلت جهدي في الحصول على احدى طبعات الكتاب الصادرة في المرحلة الاولى من حياة سيد قطب الاسلامية، وهي مرحلة ما قبل انضمامه الى الحركة الاسلامية. فحصلت على الطبعة الثالثة التي نشرتها شركة الطباعة والصحافة للاخوان المسلمين عام ١٩٥٢، وأجريت مقارنة بينها وبين طبعة دار الشروق الحالية، التي هي صورة عن الطبعة السادسة المنقحة، التي اصدرها سيد قطب عام ١٩٤٦، ونشرتها دار احياء الكتب العربية.

واثبت فيما يلي أهم نقاط الاختلاف بين الطبعتين:

١ – في الفصل الاول الذي تحدث فيه عن «الدين والمجتمع بين المسيحية والاسلام» أورد في الطبعة الثالثة نقولات من الانجيل، بلغت حوالي صفحتين، بهدف بيان موقف المسيحية من المجتمع، وقد حذف هذه النقولات كلها من الطبعة السادسة (قارن صفحة ٧–٨ من الثالثة مع الصفحة ٥ من السادسة).

٢ – أثبت في الفصل الاول ايضا، هوامش في الطبعة السادسة، اشار فيها الى كتب صدرت له في اوائل الستينات، مثل الهامش في صفحة (٧) الذي أحال فيها على كتاب «المستقبل لهذا الدين». والهامش في صفحة (١٠) الذي اوضح فيه الصلة بين العبادات والمعاملات في الاسلام، وأحال على كتاب «خصائص التصور الاسلامي» وقد تكررت اشاراته هذه في فصول الكتاب اخرى. مثل الهامش في صفحة (٢١) الذي اشار فيه الى كتاب «خصائص التصور الاسلامي» وانه قد صدر. والى كتاب «مقومات التصور الاسلامي» وانه تحت الطبع!!

٣ – أثناء حديثه عن «سياسة الحكم في الاسلام» كان يضيف فقرات جديدة، على الطبعة الثالثة، مثل الفقرة الثانية في صفحة (٩٧) حيث أضاف فيها غرض طه حسين المقنع في الاساءة الى النظام الاسلامي، كذلك الفقرة الثالثة التي ادان فيها مقولة «اشتراكية الاسلام» و«ديمقراطية الاسلام» (قارن صفحة (٩٢) من الطبعة الثالثة، مع صفحة ٩٧ من السادسة).

٤ – كذلك في صفحة ٩٨ اضاف فقرة جديدة عن مفهوم الدين والنظام في الاسلام (قارن ٩٤ من الثالثة مع ٩٨ من السادسة).

٥ – وفي صفحة ١٠٠ اضاف فقرتين، أثبت فيهما قاعدة نظام الحكم في الاسلام، وهي (الحاكمية لله). والتي يتميز بها عن كل الانظمة الجاهلية الارضية (قارن صفحة ٩٥ من الثالثة مع ١٠٠–١٠١ من السادسة).

٦ – في مبحث «وسائل التملك الفردي» اورد في الطبعة الثالثة سبعة منها، بينما اورد في السادسة وسائل عشرة، مع تعديل في عرض بعضها.

٧ – اثناء حديثه عن حكمة تحريم الربا، أضاف الى السادسة مقتطفات عن حكمة التحريم، اخذها من تفسيره «في ظلال القرآن» واستغرقت حوالي خمس صفحات (قارن صفحة ١٢٢ من الثالثة مع صفحات

١٣١ ـ ١٣٦ من السادسة).

٨ ـ في نهاية حديثه عن الزكاة، اضاف الى السادسة فقرات، أبان فيها كيف بهتت صورة الزكاة في حس بعض المسلمين الآن (قارن صفحات الثالثة ١٣٦ ـ ١٣٧ مع صفحات السادسة ١٥١ ـ ١٥٣).

٩ ـ في آخر فصل «سياسة المال» أضاف فقرات لخص فيها القواعد الاساسية للنظام الاقتصادي الاسلامي (الثالثة ١٤٤ مع السادسة ١٦١ ـ ١٦٢).

١٠ ـ أثناء حديثه عن بعض مواقف العلماء مع الحكام الطغاة، أضاف الى السادسة موقف الامام النووي مع الظاهر بيبرس في الانكار عليه بعض تصرفاته (قارن الثالثة ١٦٨ مع السادسة ١٨٨ ـ ١٨٩).

١١ ـ أثناء حديثه عن كيفية بيعة يزيد بن معاوية، حذف من السادسة فقرات طويلة، كان قد حلل فيها مواقف بني أمية عموما، وابو سفيان وابنه معاوية ـ رضي الله عنهما ـ على وجه الخصوص، وقد بلغت المحذوفات حوالي اربع صفحات (قارن الثالثة (١٨٢ ـ ١٨٦) مع السادسة صفحة ٢٠٥).

١٢ ـ في فصل «حاضر الاسلام ومستقبله» عدل الصفحات الاولى منه، حيث صاغها على هدي آرائه الحركية الجديدة، حول معنى الدين والاسلام والحاكمية (قارن الثالثة ٢٢٥ ـ ٢٣٢ مع السادسة ٢٤٤ ـ ٢٤٨).

١٣ ـ كذلك أورد في هذا الفصل، فصلا كاملا من فصول «معالم في الطريق» ـ الذي طبع عام ١٩٦٤ ـ وهو فصل «التصور الاسلامي والثقافة» (قارن الثالثة ٢٤٨ ـ ٢٥٤ مع السادسة ٢٦٦ ـ ٢٧٨، وانظر كذلك «معالم في الطريق» ١٦٥ ـ ١٨٢ طبعة دار دمشق).

١٤ ـ وبعدما انتهى من اثبات فصل «التصور الاسلامي والثقافة» أتبعه مباشرة بمقالة «منهج للادب» وهي المقالة المنشورة في كتاب «في التاريخ فكرة ومنهاج» (انظر الثالثة ٢٥٥، وقارنها مع السادسة ٢٧٨ ـ ٢٨٢، وانظر ايضا «في التاريخ فكرة ومنهاج» ١١ ـ ٢١).

١٥ ـ واثناء حديثه عن التصور الاسلامي والتاريخ، اورد في السادسة معظم مقالة «في التاريخ فكرة ومنهاج» وهي المقالة الرئيسية في الكتاب الذي يحمل نفس العنوان، والذي جمع بعد استشهاده (قارن السادسة ٢٨٣ ـ ٢٨٩ مع «في التاريخ فكرة ومنهاج» ٣٧ ـ ٥٥).

١٦ ـ واخيرا خاتمة الكتاب في السادسة، تختلف اختلافا واضحا عنها في الثالثة (قارن الثالثة ٢٧١ ـ ٢٧٣ مع السادسة ٢٩٢ ـ ٢٩٣).

هذه اهم الفروق بين الطبعتين، وهناك كثير منها لم نذكره، وبها يظهر لنا ان الطبعة المتداولة حاليا، هي الطبعة المعتمدة لدى سيد، والتي كان ينوي اصدارها، والتي اشرف على تعديلها وتنقيحها، وضم اليها آخر آرائه الحركية.

ومن هذا العرض تبين لنا خطأ اطلاق الأحكام جزافا، وخطورة ذلك الاطلاق على الفكر والثقافة، والدعوة والحركة، ومخالفتها للموضوعية والمنهجية في البحث العلمي. فلو عقد اصحاب الاشاعة مقارنة سريعة بين الطبعتين، لما اطلقوا هذه المقولة الظالمة، التي رددها كثير من الدعاة، والتي ارادوا منها لهذا الكتاب القيم ان يلقى بعيدا في عالم النسيان!!

والله الهادي الى سواء السبيل. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

كتاب «العدالة الاجتماعية في الإسلام».. هل تخلى عنه سيد قطب؟[1]

بقلم- أ. صلاح عبدالفتاح الخالدي:

هناك إشاعة تتردد على ألسنة بعض جنود الحركة الإسلامية في هذه الأيام، وهي أن الإمام الشهيد سيد قطب، وفي أخريات أيامه في هذه الحياة، قد أعلن عن تخليه عن بعض بحوثه ودراساته الإسلامية، التي أصدرها في المرحلة الأولى من حياته الإسلامية، مثل: التصوير الفني في القرآن، ومشاهد القيامة في القرآن، والعدالة الاجتماعية في الإسلام، ومعركة الإسلام والرأسمالية.. وغيرها.

وسبب تخليه عنها -كما يقولون- هو أن في بعضها اتجاهات باطلة ناتجة عن بقايا رواسب الجاهلية في فكره، أو أن بعضها قد استنفد أغراضه، بانتهاء الظروف والملابسات التي ألف فيها!

وبما أن كتاب «العدالة الاجتماعية في الإسلام» قد أدرجه هؤلاء، ضمن القائمة المذكورة، وبما أن الحقيقة على العكس من ذلك تماماً! فسأتناوله هنا من زاويتين:

الأولى: ذكر قصة تأليفه، والجو الذي ألف فيه!

الثانية: إقامة الدليل على أنه تناوله بالتنقيح، وأضاف إليه آخر أفكاره الحركية.

قصة تأليفه:

أقبل سيد قطب على القرآن الكريم، يقرأ آياته ويتذوقها لأغراض أدبية وفنية وجمالية، وخرج من هذا بنتائج أدبية وفنية رائعة ممتعة، أثبتها في كتابيه: التصوير الفني في القرآن، ومشاهد القيامة في القرآن.

(١) تم نشره في العدد (٥٣٢) بتاريخ ١٩٨١/٦/٩م.

وكان -أثناء دراسته الأدبية للقرآن- قد فوجئ بوجود قواعد ومناهج كاملة فيه، تصلح أساساً لإقامة حياة عادلة، وإنشاء مجتمعات سعيدة، فكان يكتب عنها ملاحظات سريعة، ويتركها جانباً، ليعود إليها بعد الانتهاء من دراساته الأدبية، وما إن فرغ من كتابيه المشار إليهما سابقاً، حتى أقبل على ملاحظاته جامعاً منسقاً، وعلى القرآن الكريم دارساً متعمقاً، فكان كتابه الأول في الفكر الإسلامي «العدالة الاجتماعية في الإسلام».

الجو العام الذي ألّف فيه:

اختيار سيد قطب ميدان العدالة الاجتماعية، بهدف بيان منهج القرآن الكريم في إقرارها، وطريقته في تحقيقها؛ وذلك لأن مصر كانت تعيش في مرحلة اجتماعية حرجة، حيث خرجت من الحرب العالمية الثانية محطمة اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً ونفسياً، وتزلزلت بنية المجتمع المصري، وظهرت فيه طبقة مستغلة جديدة، هي طبقة أغنياء الحرب والمستغلين اللصوص، بالإضافة إلى الطبقات الأخرى مثل جماعة القصر والإقطاعيين والباشوات وكبار الملاك التي استحوذت على غالبية ثروة البلاد.

وبقت غالبية الشعب المصري تعيش في فقر مدقع، وتحرم من أبسط حقوقها في الحياة فحدثت هزات اجتماعية وانتشر اللصوص وقطاع الطرق، وكان الشعب يئن تحت وطأة هذا الظلم الاجتماعي.

وفي هذا الجو الموبوء، نشط الشيوعيون في الدعاية لمذهبهم، وراحوا يمنون جماهير العمال والفقراء، والفلاحين المعدمين، بجنتهم الموهومة، فأقبل عليهم المحرومون طمعاً فيما يعدونهم به.

كان سيد قطب يعيش هذه المأساة، وتزعجه المظاهر الاجتماعية التائهة في المجتمع، ويأسى للجماهير المخدوعين الذين استغفلتهم الشيوعية، فراح يبشر بالعدالة الاجتماعية الإسلامية، التي وضع يديه على خطوطها العريضة في القرآن الكريم وأنشأ لهذه الغاية مجلة «الفكر الجديد» التي مولها الحاج محمد حلمي المناوي، عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين، وصاحب دار الكتاب العربي بمصر.

وكان سيد قطب عنيفاً في نقده للمظاهر الاجتماعية التائهة، وفي كشفه مَنْ وراءها

من القصر الملكي والأحزاب والطبقات، وفي حربه للشيوعية ونقدها وتعريتها.

ثم ألَّف كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام»، وبيَّن فيه طبيعة العدالة في الإسلام، والأسس التي أرساها الإسلام عليها، ووسائله في تحقيقها، كما تحدث عن سياسة الحكم وسياسة المال في الإسلام، وعن حق الملكية الفردية وطبيعتها، ووسائل التملك الفردي، وطرق تنمية الملكية، وطرق الإنفاق.. وغير ذلك.

الأثر الذي أحدثه الكتاب:

وقد أحدث الكتاب –فور صدوره– آثاراً مختلفة، وأثار ضجة في مختلف الأوساط:

فالأوساط الشيوعية اعتبرته عدوها الرئيس؛ لأنه يفتح عيون الشعب المحروم المظلوم على باب جديد للعدالة الاجتماعية، غير الباب الذي يدعون هم إليه.

والأوساط الحكومية، اعتبرته انتصاراً لخصومهم (الإخوان المسلمون) الذين كانوا في هذا الوقت خلف أسوار المعتقلات، وفي أقبية السجون، لذلك صادرت الحكومة الكتاب بسبب الإهداء، حيث هداه سيد قطب إلى جنود الإسلام، الذين كان يلمحهم بعين خياله قادمين، فظنت أنه يعني شباب الإخوان المسلمين، ولم تفرج عن الكتاب إلا بعد حذف الإهداء.

والأوساط الإسلامية –وبخاصة الإخوان المسلمون– اعتبرته فتحاً جديداً في المكتبة الإسلامية، ونصراً مؤزراً للفكر الإسلامي في صراعه مع الفكر الجاهلي، وإرهاصاً لانضمام صاحبه إلى الحركة الإسلامية!

وقد سلم سيد قطب الكتاب إلى شقيقه محمد ليشرف على طبعه، لأنه كان في طريقه إلى أمريكا، موفداً من وزارة المعارف المصرية!

وصدرت طبعته الأولى في أبريل ١٩٤٩م، والثانية ١٩٥١م.

وقد أعطى سيد قطب الكتاب –وهو في أمريكا– إلى المجلس الأمريكي للدراسات الاجتماعية، ليترجم إلى الإنجليزية حيث ترجمه المستشرق يوحنا (جون. ب. هاردي) الأستاذ بجامعة هالفكس بكندا، وصدرت ترجمته عام ١٩٥١م.

وكان أحـد رجـال علم المخابرات البريطانية في أمريـكا، وهو جون هيوورث رون، قد عرض على سـيد قطب أن يقوم بترجمته إلى الإنجليزية، مقابل مبلغ عشـرة آلاف دولار، ولكن سـيد قطب رفض الإغراء، وآثر أن يعطيه مجاناً إلى المجلس الأمريكي للدراسـات الاجتماعية.

الطبعة المتداولة حالياً هي الطبعة المنقحة:

كان سـيد قطـب فـي أخريات أيامه قـد وعد بإصـدار طبعة منقحة لكتـاب العدالة الاجتماعية في الإسـلام يحذف منها الأفـكار والاتجاهات الباطلة، التي علقت في فكره من رواسب الجاهلية، التي تبين له خطؤها فيما بعد!

وظـن البعـض أن الطغيان عجل بإزهاق روحه الطاهرة، قبل تنفيذ ما وعد به، ولذلك فـإن الطبعة السادسـة من الكتاب، وهي الصادرة مـن دار إحياء الكتب العربية في مصر عام ١٩٦٤م، والتي صورت عنها طبعات عديدة بعد استشهاده، آخرها طبعة دار الشروق، وهـذه الطبعـة فـي رأيهم ما هي إلا صورة مـن طبعات الكتاب الأولـى، ولذلك دعوا إلى الزهـد فـي الكتاب وعدم الإقبال عليه لأن صاحبه لم يتمكن من تلقيحه قبل استشـهاده، ولم يضف إليه آخر آرائه الحركية!

لذلك حرصت على التحقيق من هذه الدعوة، فبذلت جهدي في الحصول على إحدى طبعات الكتاب الصادرة في المرحلة الأولى من حياة سـيد قطب الإسـلامية، وهي مرحلة ما قبل انضمامه إلى الحركة الإسلامية، فحصلت على الطبعة الثالثة التي نشرتها شركة الطباعة والصحافة للإخوان المسـلمين عام ١٩٥٢م، وأجريت مقارنة بينها وبين طبعة دار الشـروق الحالية التي هي صورة عن الطبعة السادسـة المنقحة التي أصدرها سيد قطب عام ١٩٤٦م، ونشرتها دار إحياء الكتب العربية.

وأثبت فيما يلي أهم نقاط الاختلاف بين الطبعتين:

١- في الفصل الأول الذي تحدث فيه عن «الدين والمجتمع بين المسـيحية والإسـلام»، أورد فـي الطبعة الثالثـة نقولات من الإنجيل بلغت حوالي صفحتـين، بهدف بيان موقف المسـيحيين من المجتمع، وقـد حذف هذه النقولات كلها من الطبعة السادسـة (قارن بين

صفحة ٧-٨ من الثالثة مع الصفحة ٥ من السادسة).

٢- أثبت في الفصل الأول أيضا، هوامش في الطبعة السادسة، أشار فيها إلى كتب صدرت له في أوائل الستينيات، مثل الهامش في صفحة (٧) الذي أحال فيها على كتاب «المستقبل لهذا الدين»، والهوامش في صفحة (١٠) الذي أوضح فيه الصلة بين العبادات والمعاملات في الإسلام، وأحال على كتاب «خصاص التصور الإسلامي»، وقد تكررت إشارته هذه في فصول الكتاب الأخرى مثل الهامش في صفحة (٢١) الذي أشار فيه كتاب «خصاص التصور في الإسلامي»، وأنه قد صدر له كتاب «مقومات التصور الإسلامي» وأنه تحت الطبع.

٣- أثناء حديثه عن «سياسة الحكم في الإسلام» كان يضيف فقرات جديدة على الطبعة الثانية في صفحة (٩٧)، حيث أضاف فيها غرض طه حسين المقنع في الإساءة إلى النظام الإسلامي، كذلك الفقرة الثالثة التي أدان فيها مقولة «اشتراكية الإسلام»، وكذلك «ديمقراطية الإسلام»، قارن صفحة (٩٢) من الطبعة الثالثة، مع صفحة ٩٧ من السادسة.

٤- كذلك صفحة (٩٨) أضاف فقرة جديدة عن مفهوم الدين والنظام في الإسلام (قارن صفحة ٩٤ من الثالثة مع ٩٨ من السادسة).

٥- وفي صفحة (١٠٠) أضاف فقرتين، أثبت فيهما قاعدة نظام الحكم في الإسلام، وهي «الحاكمية لله» التي يتميز بها عن كل الأنظمة الجاهلية الأرضية (قارن صفحة ٩٥ من الثالثة مع ١٠٠-١٠١ من السادسة).

٦- في مبحث «وسائل التملك الفردي»، أورد في الطبعة الثالثة سبعة منها، بينما أورد في السادسة عشر وسائل، مع تعديل في عرض بعضها.

٧- أثناء حديثه عن حكمة تحريم الربا أضاف إلى السادسة مقتطفات عن حكمة التحريم، أخذها من تفسير «في ظلال القرآن»، واستغرقت حوالي خمس صفحات (قارن صفحة ١٢٢ من الثالثة مع صفحات ١٢١ - ١٣٦ من السادسة).

٨- في نهاية حديثه عن الزكاة أضاف إلى السادسة فقرات أبان فيها كيف بهتت صورة الزكاة في حس بعض المسلمين الآن (قارن صفحات الثالثة ١٣٦ - ١٣٧ مع

صفحات السادسة ١٥١ – ١٥٣).

٩– في آخر فصل «سياسة المال» أضاف فقرات لخص فيها القواعد الأساسية للنظام الاقتصادي الإسلامي (الثالثة ١٤٤ مع السادسة ١٦١ – ١٦٢).

١٠– أثناء حديثه عن بعض مواقف العلماء مع الحكام الطغاة، أضاف إلى السادسة موقف الإمام النووي مع الظاهر بيبرس في الإنكار عليه بعض تصرفاته (قارن الثالثة ١٦٨ مع السادسة ١٨٨ – ١٨٩).

١١– أثناء حديثه عن كيفية بيعة يزيد بن معاوية، حذف من السادسة فقرات طويلة كان قد حلل فيها مواقف بني أمية عموماً وأبي سفيان وابنه معاوية –رضي الله عنهما– على وجه الخصوص، وقد بلغت المحذوفات حوالي أربع صفحات (قارن الثالثة (١٨٢ – ١٨٦) مع السادسة صفحة ٢٠٥).

١٢– في فصل «حاضر الإسلام ومستقبله» عدل الصفحات الأولى منه، حيث صاغها على هدي آرائه الحركية الجديدة حول معنى الدين والإسلام والحاكمية (قارن الثالثة ٢٢٥ – ٢٢٢ مع السادسة ٢٤٤ – ٢٤٨).

١٣– كذلك أورد في هذا الفصل فصلاً كاملاً من فصول «معالم في الطريق» الذي طبع عام ١٩٦٤، وهو فصل «التصور الإسلامي والثقافة» (قارن الثالثة ٢٤٨ – ٢٥٤ مع السادسة ٢٦٦ – ٢٧٨ وانظر كذلك: «معالم في الطريق» ١٦٥ – ١٨٢ طبعة دار دمشق).

١٤– وبعدما انتهى من إثبات فصل «التصور الإسلامي والثقافة» أتبعه مباشرة بمقالة «منهج الأدب»، وهي المقالة المشهورة في كتاب «في التاريخ فكرة ومنهاج» (انظر: الثالثة ٢٥٥، وقارنها مع السادسة ١٧٨ – ٢٨٢، وانظر أيضاً: «في التاريخ فكرة ومنهاج» ١١ –٢١).

١٥– وأثناء حديثه عن التصور الإسلامي والتاريخ، أورد في السادسة معظم مقالة «في التاريخ فكرة ومنهاج»، وهي المقالة الرئيسة في الكتاب الذي يحمل نفس العنوان الذي جمع بعد استشهاده (قارن السادسة ٢٨٣ ٢٨٩ مع «في التاريخ فكرة ومنهاج» ٢٧ – ٥٥).

١٦- وأخيـراً خاتمـة الكتاب في السادسـة تختلف اختلافاً واضحـاً عنها في الثالثة (قارن الثالثة ٢٧١ - ٢٧٣ مع السادسة ٢٩٢ - ٢٩٣).

هـذه أهـم الفروق بين الطبعتين، وهناك كثير منها لم نذكره، وبها يظهر لنا أن الطبعة المتداولة حالياً هي الطبعة المعتمدة لدى سيد، التي كان ينوي إصدارها، والتي أشرف على تعديلها وتنقيحها، وضم إليها آخر آرائه الحركية.

ومـن هذه العروض تبين لنا خطـأ إطلاق الأحكام جزافاً، وخطورة ذلك الإطلاق على الفكـر والثقافة، والدعوة والحركـة، ومخالفتها للموضوعية والمنهجية في البحث العلمي، فلو عقد أصحاب الإشـاعة مقارنة سـريعة بين الطبعتين، لما أطلقوا هذه المقولة الظالمة التي رددها كثير من الدعاة، والتي أرادوا منها لهذا الكتاب القيم أن يلقى بعيداً في عالم النسيان!

والله الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتاب في مقال:

سيّد قطب الشهيد الحيّ

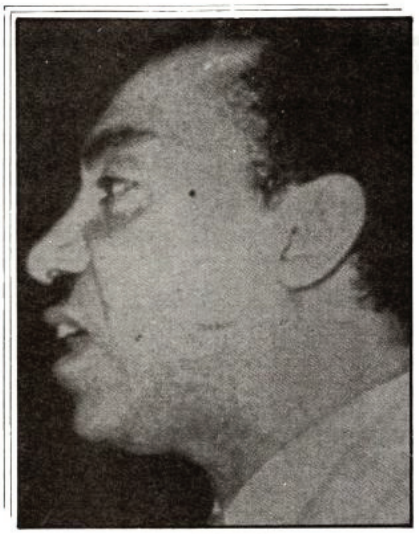

سيد قطب رحمه الله

رسالة ماجستير:

هذا الكتاب هو الجزء الاول من رسالة الماجستير «سيد قطب والتصوير الفني في القرآن». وقد أصدره الكاتب بعنوان: «سيد قطب الشهيد الحي» وكان موفقاً أي توفيق في هذا العنوان. فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، ومقام الشهادة في الاسلام هو مقام الانبياء والصديقين. والذي يقرأ هذا الكتاب في صفحاته الستين بعد المئتين يخرج بصورة واضحة المعالم عن سيد: وليس هذا بغريب على باحث جاد تخصص بدراسة سيد: حياته وآثاره بألوان عبقريته، وكتب عنه بأسلوب الباحث الاديب، بعيداً عن الجلجلة اللفظية، والانشائية الخطابية التي ابتلي بها بعض كتابنا من الذين تعتادوا اعتلاء المنابر. وجميل جداً ان يتخصص الشاب بعبقري من العباقرة في هذا الزمان، ويفعل مؤلف هذا الكتاب. فقد أكب منقباً عن كل ما يتصل بسيد بسبب، يحتفي بالخبر، ويغذ السير وراء الأثر، وما أغزر آثار سيد، وما أشد تبعثرها في الصحف المصرية منذ الثلاثينات وحتى صعود روحه الى الرفيق الاعلى.. مما جعل أحد الباحثين يأس لسيد، الناقد العملاق الذي قادته حركة الاخوان المسلمين الى السجن فحبل المشنقة، فالجنة. وفقد النقد العربي بفقده «ناقداً حذقاً بز أقرانه وأساتذته» او كما قال الكاتب في كتاب «الأدب العربي في آثار الدارسين».

الاجحاف ... لماذا؟

ومن المخزي حقاً ان أزعم: ان الحركة الاسلامية المعاصرة تظلم رجالاتها، أحياء وأمواتاً وشهداء، اذ لا نكاد نقرأ الا النزر اليسير من الكتابات عن رجال الدعوة العظام في هذا القرن.. فيما نرى عشرات الكتب ومئاتها تؤلف حول رجال الاحزاب الاخرى.. وهؤلاء عندما يكتبون عن رجالهم وعن احزابهم وعن الحركات الوطنية والانتفاضات الشعبية، لا يتطرقون الى حركتنا الاسلامية ورجالنا الذين استشهدوا في سبيل مبادئهم، وحين يتطرقون، يظلمون.. ونحن لا نعتب كثيراً على هؤلاء الكتاب الا لادعائهم الموضوعية فيما يكتبون، والموضوعية منهم براء.. بل انه لمن المنطقي جداً – في عالمنا المتخلف – ان يتجاهل أعداء الله، أعداء هذه الدعوة، الرجال الافذاذ الذين قاموا لحمل أعباء اوطانهم وشعوبهم، وهي أعباء جسيمة، وان حملها لينوء به الرجال ...

ومن هنا كان حزني وألمي على الاجحاف الذي لحق بالشهداء: البنا وسيد وعودة وفرغلي وطلعت والطيب وهواش واسماعيل ومروان وابراهيم وعبدالله وعدنان وعبدالستار والسنانيري والهضيبي والسباعي وسواهم وسواهم من الرجال الذي ناضلوا ضد التخلف والطغيان، ولم يبخلوا بأموالهم وأوقاتهم ودمائهم، بل قدموها رخيصة، وافتدوا بها أوطانهم وشعوبهم ودينهم، وهذا من مبادئهم. وما أسماها من مبادىء..

تـالـيـف:
الاسـتـاذ صـلاح الخالدي

ومن هنا ـ أيضاً ـ كانت دعوتي ومناشدتي للشاعرة الكبيرة نازك الملائكة ان تقوم بكتابة ملحمة او ملاحم شعرية تخلد فيها هؤلاء الابطال الخالدين، وتخلد هي بهم.

جهد كبير:

ان هذا الكتاب هو جهد كبير، قدمه المؤلف في تواضع جم، وانه خير كتاب صدر عن سيد حتى الآن، فهو يترجم له ترجمة دقيقة يبرز فيها شخصية سيد الأديب، وسيد السياسي المحنك، وسيد الداعية الحكيم.. وهذه الايجابيات تشلح صدور المؤمنين والعقلاء من جهة، ولكنها تؤلم من جهة أخرى، اذا قارنا حياة سيد بحياة من نعايشهم اليوم من العاملين في الحقل الاسلامي، اللهم الا اذا كانت حياته هذه مهمازاً يدفع هؤلاء الى التأسي به، فيكونوا مثله او قريباً منه، وعياً واخلاصاً وحركة وزهادة في هذا الحطام الذي مزق الصفوف، بعد ان مزق النفوس..

والفضل ما شهدت به الأعداء:

ولكن.. ليت الكاتب المؤلف رجع الى كتابي «الادب العربي في آثار الدارسين» لمجموعة من الكتاب، ليستشهد برأي المخالفين لسيد، والفضل ما شهدت به الاعداء او المخالفون في الرأي، ليرى أي مكان يحتله سيد في عالم النقد.

ولبيته رجع الى كتاب «الاخوان المسلمون.. رؤية من الداخل» للاستاذ محمود عبدالحليم، لانه يلقي بعض الاضواء على شخصيته في جاهليته واسلامه..

ولكن الكاتب ـ تلميذ سيد ـ ما كان ليحصي على استاذه العملاق مثالبه وسلبياته.. وحق له هذا، لولا انه يدور في دائرة الباحث العلمي «الاكاديمي».. تلك الدائرة التي تتطلب من السائرين في فلكها ذكر كل شيء.. كل شيء.. وما أظن سلبيات الرجل تترك أثراً سلبياً في نفس القارىء.. ولعله في جمعه لآثاره كلها.. كلها.. وبلا استثناء، يقدم لنا عبر دراساته لما يجمع من ألوان المادة الفكرية والنفسية ما يجعل الناس يقفون على لون العظمة لدى سيد.

مفتاحان ـ جمالي وحركي:

والمؤلف سار بمنهجية وهو يعبر بالاعجاز القرآني في رحلته الطويلة منذ الجاحظ ومن تلاه الى ان انتهى به المطاف الى الدارسين في العصر الحديث مستفيداً من اطلاعه الواسع على الكتابات القرآنية، الامر الذي أثرى موضوعه أيما إثراء،ودل على الجهود العقلية والعضلية المضنية التي بذلها في هذا السبيل.

لقد اكتشف المؤلف مفتاحين لدراسة سيد لهذا القرآن الجليل.. **أولهما:** المفتاح الفني الجمالي المتمثل في نظرية التصوير الفني الذي برز في كتابه التصوير الفني في القرآن، **وثانيهما:** المفتاح الحركي الذي برز في كتابه الجليل «**في ظلال القرآن**».

ولئن أخرج كتابه الاول من حياة سيد، اننا ننتظر صدور كتابه الثاني: عن المفتاح الجمالي، وانه وعد أن يتابع المسير في إصدار كتاب ثالث عن المفتاح الثاني.. وانا لمنتظرون..

ان الجمهرة الكبيرة من تلاميذ سيد والمعجبين به وجند الدعوة يتطلعون الى الكتابين: الثاني والثالث الذي يتناول الجوانب الحركية التي وعاها سيد **وهو يعيش «في ظلال القرآن»..**

واخيراً...

لا يسعني الا ان أشد على يد المؤلف، مباركاً وطالباً منه ان يفي بما وعد وننتظر، فتفرغه لدراسة سيد، وتخصصه بعالمه الوسيع كفيلان بهدايته الى جوانب اخرى لا تقل ثراء وروعةمن هذه الجوانب التي وعاها فكتب بها.. خاصة وان الاستاذ المشرف هو الدكتور أحمد فرحات، التلميذ النجيب لسيد، والمعجب به منذ يفاعته..

ولعل جهود الرجلين: الاستاذ والتلميذ، تقضي من نفوسنا حاجة، أي حاجة.. وتخدم الدعوة الاسلامية من خلال الحديث عن عبقري من رجالها.. وعندئذ.. نستطيع ان نطمئن الى مسيرة الدعوة، وان أبناءها البررة الوا على انفسهم ان يرفعوا الظلم الذي حاق برجالها.. واننا منتظرون.

الاصلاح والقانون

يصر بعض الناس على القول بضرورة الافادة مما ابتدعه الغرب من قوانين.. و يعتقد هؤلاء أن كل الحضارة الغربية ستنتقل الينا اذا عرفنا كيف نطبق قوانين الغرب. و يضيفون الى ذلك أن إصلاح المجتمع بات ميؤوساً منه ما دامت أمتنا تعيش في الشكل المحافظ الحذر من الافادة مما عند الغرب. و يطنب هؤلاء في القول حول هذه النقطة.. نقطة اصلاح المجتمع واصلاح الناس. متجاهلين الاسلام ووسائل اصلاحه.

ولهؤلاء نقول:

يرى الاسلام أن اصلاح الناس اصلاحاً شاملا إنما يكون باتباع هدى العقل ونبذ تسولات الجهل. لأن العقل لا يميز الخير للناس عن الشر فقط. بل يدفع الفرد الى العمل بالخير ونبذ الشر.

أما سن القوانين المدعمة بالعقوبات والتنظيمات. فهو أمر لا يؤثر في اصلاح الناس أبداً. لأن المجتمع الذي يتبع الهوى.. لا يمكن أن يسن قانوناً إلا متأثراً بهواه. وهو لا يطبقه إلا كذلك. ومن هنا فإن أي قانون مستورد لا بد وأن يكون قد مازجه هوى مجتمعه الذي وضع فيه. و بالتالي فهو قاصر وممزوج بالخطأ أولا. وهو لا يصلح لمجتمع آخر بحال من الاحوال ثانيا بسبب خصوصية الهوى الموجودة فيه.

على أن الانسان إذا نجح في فرض شكليات القوانين في مجتمع ما.. فهل يستطيع أن ينجح بهذه القوانين في صقل الفطرة وتطهير القلب وتسكين النفس من الاضطراب وما يتعلق بذلك من حواس وأوضاع نفسية في الجنس البشري.

الجواب لا.

والاسلام وحده هو الذي يستطيع التغلغل الى القلب. أما القوانين فلا.. ومهما نجحت فلن تنجح إلا في صنع بعض القشور. حيث لا يمكن لأمر ما أن يصل الى القلب سوى العقيدة.

سيد قطب الشهيد الحي (رسالة ماجستير)[1]

تأليف- د. صلاح الخالدي:

هذا الكتاب هو الجزء الأول من رسالة الماجستير «سيد قطب والتصوير الفني في القرآن».

وقد أصدره الكاتب بعنوان «سيد قطب الشهيد الحي»، وكان موفقاً أي توفيق في هذا العنوان، فالشهداء أحياء عند ربهم يُرزقون.

ومقام الشهادة في الإسلام هو مقام الأنبياء والصديقين، والذي يقرأ هذا الكتاب بصفحاته الستين بعد المائتين يخرج بصورة واضحة المعالم عن سيد، وليس هذا بغريب على باحث جاد تخصص بدراسة سيد؛ حياته وآثاره وألوان عبقريته، وكتب عنه بأسلوب الباحث الأديب، بعيداً عن الجلجلة اللفظية والإنشائية الخطابية التي ابتلي بها بعض كتابنا من الذين اعتادوا اعتلاء المنابر، وجميل جداً أن يتخصص دارس بعبقري من العباقرة في هذا الزمان، كفعل مؤلف هذا الكتاب، فقد أكب منقباً عن كل ما يتصل بسيد بسبب يحتفي بالخبر، ويغذ السير وراء الأثر وما أغزر آثار سيد، وما أشد تبعثرها في الصحف المصرية منذ الثلاثينيات وحتى صعود روحه إلى الرفيق الأعلى؛ مما جعل أحد الباحثين يأسى لسيد، الناقد العملاق الذي قادته حركة الإخوان المسلمين إلى السجن فحبل المشنقة، إلى الجنة، وفقد النقد العربي بفقده ناقداً حذقاً بز أقرانه وأساتذته، أو كما قال الكاتب في كتاب «الأدب العربي في آثار الدارسين».

(١) تم نشره في العدد (٦٠٤) بتاريخ ١٩٨٣/١/١٨م.

الإجحاف.. لماذا؟

ومن المخزي حقاً أن أزعم أن الحركة الإسلامية المعاصرة تظلم رجالاتها، أحياء وأمواتاً وشهداء، إذ لا نكاد نقرأ إلا النذر اليسير من الكتابات عن رجال الدعوة العظام في هذا القرن، فيما ترى عشرات الكتب ومئاتها تؤلف حول رجال الأحزاب الأخرى، وهؤلاء عندما يكتبون عن رجالهم وعن أحزابهم وعن الحركات الوطنية والانتفاضات الشعبية، لا يتطرقون إلى حركتنا الإسلامية ورجالنا الذين استشهدوا في سبيل مبادئهم، وحين يتطرقون يظلمون، ونحن لا نعتب كثيراً على هؤلاء الكتَّاب إلا لادعائهم الموضوعية فيما يكتبون، والموضوعية منهم براء، بل إنه لمن المنطقي جداً -في عالمنا المتخلف- أن يتجاهل أعداءُ الله وأعداء هذه الدعوة الرجالَ الأفذاذ الذين قاموا لحمل أعباء أوطانهم وشعوبهم، وهي أعباء جسيمة، وإن حملها لتنوء به الرجال.

ومن هنا كان حزني وألمي على الإجحاف الذي لحق بالشهداء: البنا، وسيد، وعودة، وفرغلي، وطلعت، والطيب، وهواش، وإسماعيل، ومروان، وإبراهيم، وعبدالله، وعدنان، وعبدالستار، والسنانيري، والهضيبي، والسباعي.. وسواهم وسواهم من الرجال الذين ناضلوا ضد التخلف والطغيان، ولم يبخلوا بأموالهم وأوقاتهم ودمائهم، بل قدموها رخيصة، وافتدوا بها أوطانهم وشعوبهم ودينهم، وهذه من مبادئهم.

وما أسماها من مبادئ! ومن هنا -أيضاً- كانت دعوتي ومناشدتي للشاعرة الكبيرة نازك الملائكة أن تقوم بكتابة ملحمة شعرية تخلد فيها هؤلاء الأبطال الخالدين وتخلد هي بهم.

جهد كبير:

إن هذا الكتاب هو جهد كبير قدمه المؤلف في تواضع جم، وإنه خير كتاب صدر عن سيد حتى الآن، فهو يترجم له ترجمة دقيقة يبرز فيها شخصية سيد الأديب، وسيد السياسي المحنك، وسيد الداعية الحكيم، وهذه الإيجابيات تثلج صدور المؤمنين والعقلاء من جهة، ولكنها تؤلم من جهة أخرى إذا قارنا حياة سيد بحياة من نعيشهم اليوم من العاملين في الحقل الإسلامي، اللهم إلا إذا كانت حياته هذه مهماز يدفع هؤلاء إلى

التأسي به، فيكونوا مثله أو قريباً منه؛ وعياً وإخلاصاً وحركة وزهادة في هذا الحطام الذي مزق الصفوف، بعد أن مزق النفوس.

والفضل ما شهدت به الأعداء:

ولكن، ليت الكاتب المؤلف رجع إلى كتابي «الأدب العربي في آثار الدارسين» لمجموعة من الكتاب، ليستشهد برأي المخالفين لسيد، والفضل ما شهدت به الأعداء أو المخالفين في الرأي؛ ليرى أي مكان يحتله سيد في عالم النقد.

وليته رجع إلى كتاب «الإخوان المسلمون رؤية من الداخل» للأستاذ محمود عبدالحليم؛ لأنه يلقي بعض الأضواء على شخصيته في جاهليته وإسلامه؛ ولكنَّ الكاتب -تلميذ سيد- ما كان ليحصي على أستاذه العملاق مثالبه وسلبياته، وحق له هذا لولا أنه يدور في الدائرة التي تتطلب من السائرين في فلكها ذكر كل شيء.. كل شيء.. وما أظن سلبيات الرجل تترك أثراً سلبياً في نفس القارئ، ولعله في جمعه لأثاره كلها.. كلها.. وبلا استثناء، يقدم لنا عبر دراساته لما يجمع من ألوان المادة الفكرية والنفسية ما يجعل الناس يقفون على لون العظمة لدى سيد.

مفتاحان.. جمالي وحركي:

والمؤلف سار بمنهجية وهو يعبر بالإعجاز القرآني في رحلته الطويلة منذ الجاحظ ومن تلاه إلى أن انتهى به المطاف إلى الدارسين في العصر الحديث مستفيداً من اطلاعه الواسع على الكتابات القرآنية، الأمر الذي أثرى موضوعه أيما إثراء، ودلَّ على الجهود العقلية والعضلية المضنية التي بذلها في هذا السبيل.

لقد اكتشف المؤلف مفتاحين لدراسة سيد لهذا القرآن الجليل.

أولهما: المفتاح الفني الجمالي المتمثل في نظرية التصور الفني الذي برز في كتابه «التصور الفني في القرآن».

وثانيهما: المفتاح الحركي الذي برز في كتابه الجليل «في ظلال القرآن».

ولئـن أخـرج كتابـه الأول من حياة سـيد، إننا ننتظر صـدور كتابه الثانـي عن المفتاح الجمالي، وأنه وعد أن يتابع المسير في إصدار كتاب ثالث عن المفتاح الثاني، وإنا لمنتظرون.

إن الجمهرة الكبيرة من تلاميذ سيد والمعجبين به وجند الدعوة يتطلعون إلى الكتابين؛ الثاني والثالث بتناول الجوانب الحركية التي وعاها سيد وهو يعيش «في ظلال القرآن».

وأخيراً..

لا يسـعني إلا أن أشـد علـى يـد المؤلف مبـاركاً وطالباً منه أن يفي بمـا وعد وننتظر تفرغه لدراسـة سيد، وتخصصه بعالمه الوسـيع كفيلان بهدايته إلى جوانب أخرى لا تقل ثراء وروعة من هذه الجوانب التي وعاها فكتب بها، خاصة أن الأسـتاذ المشـرف هو د. أحمـد فرحـات، التلميذ النجيب لسـيد، والمعجـب به منذ يفاعته، ولعـل جهود الرجلين؛ الأسـتاذ والتلميـذ، تقضي من نفوسـنا حاجـة، أي حاجة وتخدم الدعوة الإسـلامية من خلال الحديث عن عبقري من رجالها، وعندئذ نسـتطيع أن نطمئن إلى مسـيرة الدعوة، وأن أبناءها البررة آلوا على أنفسهم أن يرفعوا الظلم الذي حاق برجالها، وأننا منتظرون.

الحق المتعدد وفصائل الحركة الإسلامية

الحق المتعدد وفصـ

المسألة من وجهها الاصولي:

هناك مسألة اصولية معروفة عند العلماء، وهي: «هل الحق واحد او متعدد؟» وقد بحثها العلماء سابقا، بمناسبة حديثهم عن الاجتهاد واختلاف المجتهدين. فعندما يختلف المجتهدون في المسألة الواحدة ويكون لهم فيها عدة اقوال اجتهادية، اي هذه الاقوال هو الحق؟ واي المجتهدين على الصواب؟

للعلماء في هذه المسألة اقوال ثلاثة:

القول الاول:

ان الحق متعدد باعتبار حقيقته، ومتعدد باعتبار وجوده العملي ومظهره الخارجي! فكل منهم على الحق، رغم ما في اقوالهم من تناقض! وهذا القول مردود، لانه يتنافى مع روح الشريعة ومقاصدها، فكيف نجمع بين قولين متناقضين ونصوبهما، مع ان كون النقيضين لا يجتمعان بدهية عند العقلاء؟!

القول الثاني:

ان الحق واحد في حقيقته، واحد في مظهره الخارجي ووجوده الواقعي! فالمجتهدون ليسوا جميعا على الحق، بل واحد منهم على الحق، وما عداه على الباطل والخطأ والضلال: «فماذا بعد الحق الا الضلال؟» وهذا القول فيه غلو وتطرف، ويتنافى مع روح الشريعة التي اجازت اجتهاد المجتهد المخطىء، ومنحته عليه اجرا واحدا!.

القول الثالث المختار:

ان الحق واحد في حقيقته وطبيعته، لان تعدده بهذا الاعتبار يتنافى مع روح الشريعة. ولكن هذه الحقيقة للحق اختص الله بها، فليس في مقدور احد من المجتهدين الاحاطة بها او معرفتها. ولكن بامكانه ان يوافقها بنتيجة اجتهاده!

وكما منع اصحاب هذا القول تعدد الحق باعتبار حقيقته، فقد اجازوا تعدده — بل اعتبروه ضرورة بشرية — باعتبار اخر، اذ نظروا اليه من زاوية جديدة، وهي مظهره الخارجي، ووجوده العملي المتمثل في اقوال المجتهدين. فكل مجتهد — وصل رتبة الاجتهاد، واتصف بصفات المجتهد، وسلك طريقه الشرعية — على حق في رأيه الذي خرج به، ونتيجته التي انتهى اليها، وان كان هذا يناقض رأي مجتهد آخر على حق في اجتهاده ايضا!! بل لقد ارتقى اصحاب هذا القول الى قمة جديدة، اذ لم يجيزوا لهذا المجتهد مخالفة ما قاده اليه اجتهاده — لانه على الحق — الا بعد معاناة اجتهادية جديدة، يخرج منها بنتيجة اجتهادية جديدة ملزمة!!

وعللوا لرأيهم هذا: بانه يستحيل ان يكون كل مجتهد على الحق باعتبار حقيقته، بمعنى ان يكون اجتهاد كل منهم — المتناقض مع اجتهاد الاخرين — موافقا للحق كما هو في علم الله لان الله لم يكلفنا ان يوافق اجتهادنا ما في علمه جل وعلا — والا لكان هذا تكليفا بالمحال — وانما كلفنا ان نبحث، ونتحرى الحق في المسألة، بعد ان نتصف بصفات المجتهد، ونسلك الطريق الشرعي للبحث والاجتهاد.

وعندما يكون في المسألة الواحدة عدة اقوال اجتهادية، نجزم بان واحدا منها على الحق، بمعنى انه يوافق الحق كما هو في علم الله... ولكننا لا نستطيع تعيين هذا القول، لاننا لم نطلع على علم الله المغيب عنا، فنفوض هذا التعيين الى الله سبحانه وتعالى. كذلك نجزم بأن كلا منها على الحق ايضا، الذي اجزنا تعدده في وجوده الخارجي ومظهره العملي!!

المسألة من وجهها الحركي:

اعتقد ان عرض المسألة من وجهها الاصولي — بايجاز — كان ضرورة للحديث عنها من وجهها الحركي، حتى يتصورها افراد الحركة بكافة ابعادها واعتباراتها.

رجحنا هناك ان الحق واحد باعتبار حقيقته كما هو في علم الله، متعدد باعتبار وجوده الخارجي كما هو في اجتهاد المجتهدين، والموافق منهم للحق باعتبار حقيقته واحد لا بعينه، مع انهم كلهم على الحق باعتبار وجوده الخارجي!!

والان نعرض لهذه المسألة من زاوية عملية، ونعالجها معالجة حركية.

في ساحة العمل الاسلامي — الجاد — المعاصر، نجد جماعات اسلامية عاملة، وفصائل للحركة الاسلامية مختلفة، ونرى بين هذه الجماعات والفصائل تباينا في الخطط والوسائل، واختلافا في الاهداف والغايات، وتنوعا في الطرق والمناهج. وكل من هذه الجماعات يدعي انه على الحق لا يحيد عنه قيد شعرة فأي منها على الحق؟ وكيف ينظر بعضها الى بعض؟

ليست كلها على الحق باعتبار حقيقته كما هو في علم الله، لاننا بينا — سابقا — ان هذا الرأي مردود. كما انها ليست واحدة منها على الحق — باعتبار حقيقته واعتبار مظهره العملي ايضا — وما عداها على الحق والضلال!! — وان زعم هذا بعض الاتباع المتعصبين لهذه الجماعات! —.

ائل الحركة الإسلامية

بقلم:
صلاح عبدالفتاح الخالدي

يبقى ان نقول: انها كلها على الحق، باعتبار مظهره العملي ووجوده الخارجي، بشرط ان يكون كل منها جماعة اسلامية اصيلة، اسلامية التصور والطريق، اسلامية التصرف والاهداف!!.. ويجب ان تكون هذه القضية واضحة في تصور اتباعها، وضوحا يصل درجة القناعة القطرية! اذ لو كان عنده ادنى شك في ان جماعته ليست على الحق، او انها لا يمكن ان تصل الى الغاية المرجوة، فما معنى ان يبقى مع هذه الجماعة؟

لكن اي هذه الجماعات توافق الحق الواحد، كما هو في علم الله سبحانه وتعالى؟ او اي منها تمثل الحق الواحد في حقيقته؟ للاجابة على هذا السؤال نقول: اننا في حياتنا الدنيا غير مطالبين بهذا التحديد، لاننا لا نملك الوسائل لذلك، ولان الله لم يكلفنا بالوصول الى هذه النتيجة! فقط يجب علينا ان نعتقد ان واحدة منها — لا بعينها — على الحق باعتبار حقيقته في علم الله.

وفي هذا انصاف لها جميعها، اذ يبقى المجال امامها مفتوحا لان تصيب الحق وتمثله. وان اي محاولة من اي عضو، من اعضاء اي جماعة اسلامية، لتحديد ان جماعته على الحق — بذلك الاعتبار — او تمثله على ذلك الاساس، انما هي محاولة تقوم على الغلو والتطرف، ولا تقف على أسس علمية موضوعية!!!

طالما ان كل جماعة اسلامية اصيلة على الحق — المتعددة باعتباره الخارجي — وطالما ان كل جماعة اسلامية اصيلة قد تصيب الحق — الواحد باعتبار حقيقته كما هي في علم الله — فما هي العلاقة التي يجب ان تربط افراد هذه الجماعات؟ وما هي الصلة التي يجب ان تجمع هذه الفصائل؟ وما هي النظرة التي يجب ان ينظر بها افرادها — على اختلافهم — بعضهم الى بعض؟

ان الاساس في هذا كله يجب ان يكون الاسلام، واخوة الاسلام وآصرة العقيدة ووشيجة الايمان ومصلحة الدعوة والحركة.. يجب ان يرفع الجميع شعارات اسلامية تنظيمية مثل: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه». ومثل: «خلافنا لا يفسد في الود قضية». ومثل: «قد اخالفك في الرأي، ولكنني مستعد للموت من اجل ان تقول رأيك بحرية».

فهم جماعات جمع بينها العمل للاسلام — على اختلاف طرقه — وهم فصائل جمع بينهم الحركة بالاسلام — على اختلاف مناهجها — وهم دعاة جمع بينهم وحدة المعركة مع الجاهلية الطاغية — على اختلاف شاراتها والوانها — وهم رجال جمع بينهم وحدة الاعداء — على اختلاف فئاتهم — واخيرا هم مؤمنون جمع بينهم وحدة الهدف — على اختلاف الطرق اليه — ووحدة الجنة في الاخرة — على اختلاف درجاتها ومنازلها —!!

يجب ان يعتقد الجميع ان كل اخ من اخوانهم في الفصائل الاخرى ظهير لهم ومدد لهم وتكثير لسوادهم، وعامل في زيادة الانس في سلوكهم الطريق الى الله، ثم هم في الاخرة — بفضل الله ورحمته — اخوان لهم يجلسون واياهم على سرر متقابلين!!

يجب ان يعتقد الجميع ان اخوانهم في الفصائل الاخرى يقومون بواجبهم — الذي الهمهم الله ان يعرفوه ويقوموا به — وانهم يعملون لدينهم حسب اجتهادهم الحق، وانهم يقفون على ثغرة من ثغور الاسلام — واسعة او ضيقة! — وانهم يحسنون القيام بعملهم الذي خططوا له، وان كلا منهم ميسر لما خلقه الله له، مبدع في هذا المجال، الذي يسلكه!!

يجب ان تزول مظاهر العداوة والبغضاء بين اتباع هذه الجماعات، وافراد هذه الفصائل، ويحل محلها مظاهر التعاون وحسن الظن والثناء. يجب ان تزول علامات السخرية والاستهزاء او التشكيك بالشبهات او الانتقاص والتجريح. ويحل محلها الود والحب والثقة. وان كان لا بد من النقد والتقويم، فليكن على أسس موضوعية اسلامية وبحدود تنظيمية محصورة، وبمقدار ما تدعو اليه ضرورة البناء والعمل والتنظيم

يجب على كل عضو من اعضاء اي فصيل من فصائل الحركة الاسلامية، ان يعلم ويعتقد ان اخوانه في الفصائل الاخرى كنز ثمين مذخور لا يقوّم، وان يكون عليهم — رغم اختلاف الطريق — حريصا، وبهم ضنينا، وان لا يسلمهم الى الاعداء، ولا يخذلهم في المواقف والمواقع التي يطلبونه فيها، ولا يوجه لهم طعناته من الخلف، من حيث لا يحتسبون. وان يشعر بان ادنى رجل منهم اثقل في ميزانه الاسلامي من جميع فصائل الجاهلية برجالها ومبادئها ومواقفها.

وان كان هناك خلاف بينهم، يبقى في حدوده الاسلامية لا يتعداها وضمن مساحته المحددة لا يتجاوزها.

هذه المسألة يجب ان تكون واضحة لدى جميع افراد فصائل الحركة الاسلامية بكافة ابعادها وزواياها وقضاياها.

وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب. وعلى الله قصد السبيل. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحق المتعدد وفصائل الحركة الإسلامية[1]

بقلم- صلاح عبدالفتاح الخالدي:

المسألة من وجهها الأصولي:

هناك مسألة أصولية معروفة عند العلماء، وهي: «هل الحق واحد أو متعدد؟»، وقد بحثها العلماء سابقاً بمناسبة حديثهم عن الاجتهاد واختلاف المجتهدين، فعندما يختلف المجتهدون في المسألة الواحدة ويكون لهم فيها عدة أقوال هو الحق؟ وأي المجتهدين على صواب؟

للعلماء في هذه المسألة أقوال ثلاثة:

القول الأول: أن الحق متعدد باعتبار حقيقته، ومتعدد باعتبار وجوده العملي ومظهره الخارجي! فكل منهم على الحق، رغم ما في أقوالهم من تناقض! وهذا القول مردود، لأنه يتنافى مع روح الشريعة ومقاصدها، فكيف نجمع بين قولين متناقضين ونصوبهما، مع أن كون النقيضين لا يجتمعان بدهية عند العقلاء؟!

القول الثاني: أن الحق واحد في حقيقته، واحد في مظهره الخارجي ووجوده الواقعي! فالمجتهدون ليسوا جميعاً على الحق، بل واحد منهم الحق، وما عداه على الباطل والخطأ والضلال: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلَالُ﴾ (يونس: ٣٢)، وهذ القول فيه غلو وتطرف، ويتنافى مع روح الشريعة التي أجازت اجتهاد المجتهد المخطئ، ومنحته عليه أجراً واحداً!

القول الثالث المختار: أن الحق واحد في حقيقته وطبيعته؛ لأن تعدده بهذا الاعتبار يتنافى مع روح الشريعة، ولكن هذه الحقيقة للحق اختص الله بها، فليس في مقدور أحد من المجتهدين الإحاطة بها أو معرفتها، ولكن بإمكانه أن يوافقها بنتيجة اجتهاده!

---

(١) تم نشره في العدد (٨٥٢) بتاريخ ١٩٨٨/١/١٩م.

وكما منع أصحاب هذا القول تعدد الحق باعتبار حقيقته، فقد أجازوا تعدده -بل اعتبروه ضرورة بشرية- باعتبار آخر، إذ نظروا إليه من زاوية جديدة، وهي مظهره الخارجي ووجوده العملي المتمثل في أقوال المجتهدين، فكل مجتهد -وصل رتبة الاجتهاد واتصف بصفات المجتهد، وسلك طريقه الشرعية- على حق في رأيه الذي خرج به، ونتيجته التي انتهى إليها، وإن كان هذا يناقض رأي مجتهد آخر على حق في اجتهاده أيضاً!

بل لقد ارتقى أصحاب هذا القول إلى قمة جديدة، إذ لم يجيزوا لهذا المجتهد مخالفة ما قاده إليه اجتهاده -لأنه على الحق- إلا بعد معاناة اجتهادية جديدة، يخرج منها بنتيجة اجتهادية جديدة ملزمة!

وعللوا لرأيهم هذا: بأنه يستحيل أن يكون كل مجتهد على الحق باعتبار حقيقته، بمعنى أن يكون اجتهاد كل منهم -المتناقض مع اجتهاد الآخرين- موافقاً للحق كما هو في علم الله؛ لأن الله لم يكلفنا أن يوافق اجتهادنا ما في علمه جل وعلا -وإلا لكان هذا تكليفاً بالمحال- وإنما كلفنا أن نبحث، ونتحرى الحق في المسألة، بعد أن نتصف بصفات المجتهد، ونسلك الطريق الشرعي للبحث والاجتهاد.

وعندما يكون في المسألة الواحدة عدة أقوال اجتهادية، نجزم بأن واحداً منها على الحق، بمعنى أنه يوافق الحق كما هو في علم الله، ولكنا لا نستطيع تعين هذا القول؛ لأننا لم نطلع على علم الله المغيب عنا، فنفوض هذا التعين إلى الله سبحانه وتعالى، كذلك نجزم بأن كلاً منها على الحق أيضاً، الذي أجزنا تعدده في وجوده الخارجي ومظهره العملي!

المسألة من وجهها الحركي:

أعتقد أن عرض المسألة من وجهها الأصولي -بإيجاز- كان ضرورة للحديث عنها من وجهها الحركي، حتى يتصورها أفراد الحركة بكافة أبعادها واعتباراتها.

رجحنا هناك أن الحق واحد باعتبار حقيقته كما هو في علم الله، متعدد باعتبار وجوده الخارجي كما هو في اجتهاد المجتهدين، والموافق منهم للحق باعتبار حقيقته واحد

لا بعينه، مع أنهم كلهم على الحق باعتبار وجوده الخارجي!

والآن نعرض هذه المسألة من زاوية عملية، ونعالجها معالجة حركية.

في ساحة العمل الإسلامي -الجاد- المعاصر نجد جماعات إسلامية عاملة، وفصائل للحركة الإسلامية مختلفة، ونرى بين هذه الجماعات والفصائل تبايناً في الخطط والوسائل، واختلافاً في الأهداف والغايات، وتنوعاً في الطرق والمناهج.

وكل من هذه الجماعات يدعي أنه على حق لا يحيد عنه قيد شعرة، فأي منها على الحق؟ وكيف ينظر بعضها إلى بعض؟

ليست كلها على الحق باعتبار حقيقته كما هو في علم الله، لأننا بيَّنا -سابقاً- أن هذا الرأي مردود، كما أنها ليست واحدة منها على الحق -باعتبار حقيقته واعتبار مظهره العملي أيضاً- وما عداها على الحق والضلال!

وإن زعم هذا بعض الاتباع المتعصبين لهذه الجماعات!

يبقى أن نقول: إنها كلها على الحق باعتبار مظهرها العملي ووجوده الخارجي، بشرط أن يكون كل منها جماعة إسلامية أصيلة، إسلامية التصور والطريق، إسلامية التصرف والأهداف!

ويجب أن تكون هذه القضية واضحة في تصور أتباعها، وضوحاً يصل درجة القناعة الفطرية! إذ لو كان عنده أدنى شك في أن جماعته ليست على الحق، أو أنها لا يمكن أن تصل إلى الغاية المرجوة، فما معنى أن يبقى مع هذه الجماعة؟

لكن أي هذه الجماعات توافق الحق الواحد، كما هو في علم الله سبحانه وتعالى؟ أو أي منها تمثل الحق الواحد في حقيقته؟

للإجابة عن هذا السؤال نقول: إننا في حياتنا الدنيا غير مطالبين بهذا التحديد، لأننا لا نملك الوسائل لذلك، ولأن الله لم يكلفنا بالوصول إلى هذه النتيجة!

فقط يجب علينا أن نعتقد أن واحدة منها -لا بعينها- على الحق باعتبار حقيقته في علم الله.

وفي هذا إنصاف لها جميعها، إذ يبقى المجال أمامها مفتوحاً لأن تصيب الحق وتمثله.

وأن أي محاولة من أي عضو من أعضاء أي جماعة إسلامية، لتحديد أن جماعته على الحق -بذلك الاعتبار- أو تمثله على ذلك الأساس، إنما هي محاولة تقوم على الغلو والتطرف، ولا تقف على أسس علمية موضوعية!

طالما أن كل جماعة إسلامية أصيلة على الحق -المتعددة باعتبارها الخارجي- وطالما أن كل جماعة إسلامية أصيلة قد تصيب الحق -الواحد باعتبار حقيقته كما هي في علم الله- فما العلاقة التي يجب أن تربط أفراد هذه الجماعات؟ وما الصلة التي يجب أن تجمع هذه الفصائل؟ وما النظرة التي يجب أن ينظر بها أفرادها -على اختلافهم- بعضهم إلى بعض؟

إن الأساس في هذا كله يجب أن يكون الإسلام، وأخوة الإسلام وآصرة العقيدة ووشيجة الإيمان ومصلحة الدعوة والحركة.

يجب أن يرفع الجميع شعارات إسلامية تنظيمية، مثل: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه»، ومثل «خلافنا لا يفسد في الود قضية»، ومثل: «قد أخالفك في الرأي ولكني مستعد للموت من أجل أن تقول رأيك بحرية».

فهم جماعات جمع بينها العمل للإسلام -على اختلاف طرقه- وهم فصائل جمع بينهم الحركة بالإسلام -على اختلاف مناهجها- وهم دعاة جمع بينهم وحدة المعركة مع الجاهلية الطاغية -على اختلاف شاراتها وألوانها- وهم رجال جمع بينهم وحدة الأعداء -على اختلاف فئاتهم- وأخيراً هم مؤمنون جمع بينهم وحدة الهدف -على اختلاف الطرق إليه- ووحدة الجنة في الآخرة على اختلاف درجاتها ومنازلها!

يجب أن يعتقد الجميع أن كل أخ من إخوانهم في الفصائل الأخرى ظهير لهم ومدد لهم وتكثير لسوادهم، وعامل في زيادة الأنس في سلوكهم الطريق إلى الله، ثم هم في الآخرة -بفضل الله ورحمته- إخوان لهم يجلسون إياهم على سرر متقابلين!

يجب أن يعتقد الجميع أن إخوانهم في الفصائل الأخرى يقومون بواجبهم -الذي ألهمهم الله أن يعرفوه ويقوموا به- وأنهم يعملون لدينهم حسب اجتهادهم الحق، وأنهم يقفون على ثغرة من ثغور الإسلام -واسعة أو ضيقة- وأنهم يحسنون القيام بعملهم الذي خططوا له، وأن كلاً منهم ميسر لما خلقه الله له، مبدع في هذا المجال، الذي يسلكه!

يجب أن تزول مظاهر العداوة والبغضاء بين أتباع هذه الجماعات، وأفراد هذه الفصائل ويحل محلها مظاهر التعاون وحسن الظن والثناء، يجب أن تزول علامات السخرية والاستهزاء أو التشكيك بالشبهات أو الانتقاص والتجريح، ويحل محلها الود والحب والثقة، وإن كان لا بد من النقد والتقويم فليكن على أسس موضوعية إسلامية وبحدود تنظيمية محصورة، وبمقدار ما تدعو إليه ضرورة البناء والعمل والتنظيم.

يجب على كل عضو من أعضاء أي فصيل من فصائل الحركة الإسلامية أن يعلم ويعتقد أن إخوانه في الفصائل الأخرى كنز ثمين مذخور لا يُقوَّم، وأن يكون عليهم -رغم اختلاف الطريق- حريصاً، وبهم ضنيناً، وألا يسلمهم إلى الأعداء، ولا يخذلهم في الموقف والمواقع التي يطلبونه فيها، ولا يوجه لهم طعناته من الخلف، من حيث لا يحتسبون، وأن يشعر بأن أدنى رجل منهم أثقل في ميزانه الإسلامي من جميع فصائل الجاهلية برجالها ومبادئها ومواقفها.

وإن كان هناك خلاف بينهم يبقى في حدوده الإسلامية لا يتعداها وضمن مساحته المحدودة لا يتجاوزها.

هذه المسألة يجب أن تكون واضحة لدى جميع أفراد فصائل الحركة الإسلامية بكافة أبعادها وزواياها وقضاياها.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وعلى الله قصد السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تواريخ في حياة سيد قطب

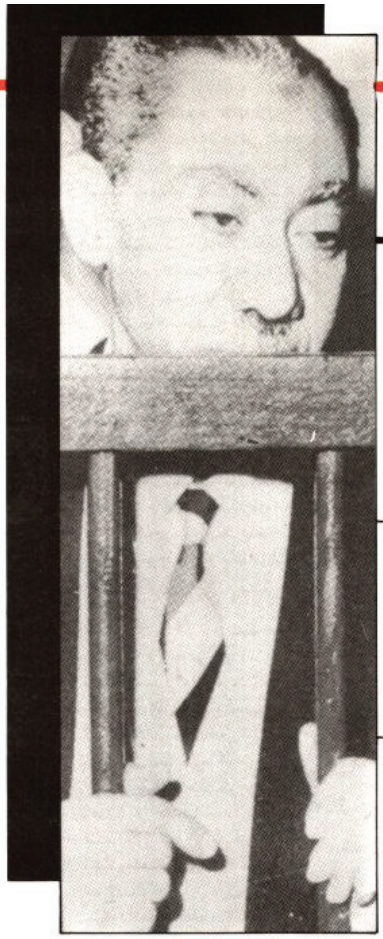

في ذكرى استشهاده :

تواريخ.. في حياة سيد قطب

• سيد رحمه الله.

للدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي

نقدم فيما يلي اهم التواريخ في حياة سيد قطب، سواء حياته الادبية او الوظيفية او الاسلامية، نقدمها هنا بدون توثيق، لانها موثقة في دراستنا عن سيد قطب، التي ستصدر عن «دار القلم» ضمن سلسلة «اعلام المسلمين» ان شاء الله.

ولد سيد قطب في قرية «موشة» التابعة لاسيوط في ١٩٠٦/١٠/٩ م.

دخل المدرسة الابتدائية في القرية عام ١٩١٢ وانهى الدراسة الابتدائية فيها عام ١٩١٨.

انقطع عن الدراسة عامين، بسبب قيام ثورة ١٩١٩.

سافرا الى القاهرة ــ للدراسة فيها ــ عام ١٩٢٠، واقام عند خاله الازهري الصحفي الوفدي «احد حسين عثمان» الذي كان يسكن في حي «الزيتون».

التحق بمدرسة المعلمين الاولية في القاهرة، وكان اسمها «مدرسة عبدالعزيز» عام ١٩٢٢. ودرس فيها ثلاث سنوات، وتخرج منها عام ١٩٢٥ حاملا اجازة «الكفاءة» للتعليم الاولي.

التحق بمدرسة «تجهيزية دار العلوم» عام ١٩٢٥، وهي مدرسة ثانوية مدة الدراسة فيها اربع سنوات، وكان لا يدخلها الا الطلبة المتفوقون، وهي تجهز الطلاب وتعدهم للالتحاق بكلية دار العلوم.

التحق بكلية دار العلوم عام ١٩٢٩ وتخرج منها عام ١٩٣٣، حاملا شهادة البكالوريوس في الآداب.

عين مدرسا في وزارة المعارف بتاريخ ١٩٣٣/١٢/٢ وكان اول راتب استلمه ستة جنيهات.

اول مدرسة عمل فيها هي مدرسة «الداودية» في القاهرة، وبقي فيها مدة عامين.

نقلته الوزارة ليعمل مدرسا في مدرسة «دمياط» الابتدائية، بتاريخ ١٩٣٥/٩/١ ولكن جو «دمياط» لم يلائم صحته، فطلب الانتقال منها.

نقل الى مدرسة «بني سويف» في ١٩٣٥/١٢/١: نقل بعدها الى مدرسة «حلوان» الابتدائية في ١٩٣٦/١١/١، وبقي مدرسا فيها اكثر من ثلاث سنوات.

استأجر بيتا جميلا في «حلوان» وكان صاحبه يعمل «مأذونا» شرعيا، واقام فيه مع اخوته طيلة عمره، وعنوانه «٤٢ شارع حيدر ــ حلوان».

نقل الى وزارة المعارف بتاريخ ١٩٤٠/٤/١، ليعمل بوظيفة «محرر عربي» في مراقبة الثقافة فيها.

نقل الى ادارة الترجمة والاحصاء في الوزارة بتاريخ ٤٠/٤/١٧. عين مفتشا بالتعليم الابتدائي في الوزارة بتاريخ ١٩٤٠/٧/١ اثر مشكلة بينه وبين السيد «احمد نجيب الهلالي» وزير المعارف، كاد سيد يستقيل على اثرها لولا تدخل الدكتور طه حسين، الذي كان يعمل مستشارا في الوزارة، حيث اقنع سيد بالعدول عن الاستقالة.

امضى تسعة اشهر في التفتيش على المدارس في الصعيد وفي الدلتا.

اعيد الى «الادارة العامة» للثقافة في الوزارة في ابريل ١٩٤٥ وكان رئيسه فيها «احمد امين».

الف اول كتاب اسلامي ــ وهو «التصوير الفني في القرآن» في ابريل «نيسان» ١٩٤٥.

ابتعد عن عباس العقاد ومدرسته الادبية عام ١٩٤٦.

اوفد الى امريكا في مهمة ميدانية، للاطلاع على مناهج ونظم التعليم هناك، وسافر في الباخرة في ١٩٤٨/١١/٣.

بقي في امريكا حوالي سنتين متنقلا بين ولاياتها وجاماتها ومعاهدها.

عاد من امريكا بالطائرة في ١٩٥٠/٨/٢٠.

عين بعد عودته في وزارة المعارف بوظيفة «مراقب مساعد» في مكتب وزير المعارف ــ وكان وقتها اسماعيل القباني ــ نقل من الوزارة الى منطقة «القاهرة الجنوبية» بتاريخ ١٩٥١/١٠/٢٢.

اعيد الى وظيفته الاولى في وزارة المعارف «مراقب مساعد في مكتب الوزير للبحوث الفنية والمشروعات» في ١٩٥٢/٥/١٧.

بعد خلافات كثيرة بينه وبين كبار رجال وزارة المعارف، بسبب رفضهم لمقترحاته الاصلاحية ذات الصبغة الاسلامية، قدم استقالته الى وزير المعارف «اسماعيل القباني» بتاريخ ١٩٥٢/١٠/١٨.

كان يستحق التقاعد بتاريخ ١٩٥٣/١٢/٢ ــ لانه وظف في الوزارة في ١٩٣٣/١٢/٢ ــ وقد بلغت مدة خدمته ثمانية عشر عاما واحد عشر شهرا.

● سيد قطب مدرسة إسلامية قامت على فكر فذ مازالت الجموع الاسلامية تتلمذ عليه.

● سيد هو الذي أصر على تقديم استقالته من وزارة المعارف رغم إصرار الوزير على رفضها.

عز على وزير المعارف ــ القباني ــ تقديم سيد استقالته، وحاول عدة مرات ان يقنعه بالعدول عنها ولكن سيد اصر عليها. واخيرا رفع الوزير الاستقالة الى مجلس الوزراء ــ الذي كان يرأسه جمال عبدالناصر ــ ونسب بأن تضاف الى مدة خدمته المدة القانونية المتبقية ليستحق الراتب التقاعدي.

لكن مجلس وزراء الثورة وافق على الاستقالة من تاريخ تقديم سيد لها في ٥٢/١٠/١٨ وبذلك حرم سيد من التقاعد. وكانت موافقة المجلس على الاستقالة في ١٩٥٤/١/١٣.

كان الاعتقال الاول لسيد قطب في مطلع عام ١٩٥٤ وبقي معتقلا ــ مع قيادات الاخوان المسلمين ــ اكثر من شهرين.

انضم سيد قطب الى جماعة الاخوان المسلمين رسميا بتاريخ ١٩٥٣ وكان قبل هذا التاريخ قريبا من الاخوان، متعاونا معهم. او قل: كان في طريقه الى الاخوان المسلمين.

اعتقل الاعتقال الثاني بعد مسرحية حادث المنشية التي اتهم فيها الاخوان المسلمون بمحاولة اغتيال عبدالناصر في ١٩٥٤/١٠/٢٦.

قدم للمحاكمة في ١٩٥٤/١١/٢٢ وكانت المحكمة برئاسة جمال سالم وعضوية انور السادات وحسين الشافعي ــ وحكمت عليه المحكمة بالسجن لمدة خمسة عشر عاما.

توسط الرئيس العراقي عبدالسلام عارف لدى عبدالناصر للافراج عن سيد، وافرج عنه بعفو صحي عام ١٩٦٤.

اعلن عبدالناصر من موسكو عن اكتشاف مؤامرة دبرها الاخوان المسلمون بقيادة سيد قطب لاغتياله وقلب نظام الحكم.

اعتقل سيد قطب الاعتقال الثالث الرهيب في ١٩٦٥/٨/٩.

بدأ التحقيق مع سيد قطب في السجن الحربي في ١٩٦٥/١٢/١٩ واستمر ثلاثة أيام.

بدأت محاكمة سيد قطب امام محكمة يرأسها «محمد فؤاد الدجوي» في ١٩٦٦/٤/١٢.

اصدر الدجوي حكم الاعدام على سيد قطب في ١٩٦٦/٨/٢١.

اثار حكم الاعدام استياء بالغا واحتجاجا قويا في العالم العربي والاسلامي، وارسلت برقيات من كثير من الاوساط الرسمية والمهنية والشعبية لعبدالناصر ليخفف حكم الاعدام على سيد قطب.

وفي ١٩٦٦/٨/٢٨ وصلت لعبدالناصر برقية من الملك فيصل يرجوه فيها عدم اعدام سيد قطب، واوصل سامي شرف البرقية لعبدالناصر في ذلك المساء، فقال له:

اعدموه في الفجر بكرة، واعرض علي البرقية بتاعت سي فيصل بعد الاعدام، ثم ارسل له برقية اعتذار!

وتم اعدام الشهيد سيد قطب قبل بزوغ فجر يوم الاثنين ١٩٦٦/٨/٢٩ الموافق ١٣ جمادى الاول ١٣٨٦ هـ.

تقبل الله جهده وجهاده وعطاءه، واجزل له المثوبة والاجر والثواب.

● عبد الناصر أعلن من موسكو عن اكتشاف مؤامرة دبرها الاخوان بقيادة سيد قطب لاغتياله.

في ذكرى استشهاده.. تواريخ في حياة سيد قطب[1]

بقلم- صلاح عبدالفتاح الخالدي:

نقدم فيما يلي أهم التواريخ في حياة سيد قطب، سواء حياته الأدبية أو الوظيفية أو الإسلامية، نقدمها هنا بدون توثيق، لأنها موثقة في دراستنا عن سيد قطب، التي ستصدر عن «دار القلم» ضمن سلسلة «أعلام المسلمين»، إن شاء الله تعالى.

ولد سيد قطب في قرية «موشة» التابعة لأسيوط في ٩ أكتوبر ١٩٠٦م.

دخل المدرسة الابتدائية في القرية عام ١٩١٢م، وأنهى الدراسة الابتدائية فيها عام ١٩١٨م.

انقطع عن الدراسة عامين، بسبب قيام ثورة ١٩١٩م، وأقام عند خاله الأزهري الصحفي الوفدي أحمد حسين عثمان الذي كان يسكن في حي الزيتون.

التحق بمدرسة المعلمين الأولية في القاهرة، وكان اسمها «مدرسة عبدالعزيز» عام ١٩٢٢م، ودرس فيها ثلاث سنوات، وتخرج فيها عام ١٩٢٥م حاملاً إجازة «الكفاءة» للتعلم الأولي.

التحق بمدرسة «تجهيزية دار العلوم» عام ١٩٢٥م، وهي مدرسة ثانوية مدة الدراسة فيها أربع سنوات، وكان لا يدخلها إلا الطلبة المتفوقون، وهي تجهز الطلاب وتعدهم للالتحاق بكلية دار العلوم.

التحق بكلية دار العلوم عام ١٩٢٩م، وتخرج فيها عام ١٩٣٣م، حاملاً شهاد البكالوريوس في الأدب، ثم عين مدرساً في وزارة المعارف بتاريخ ٢ ديسمبر ١٩٢٣م، وكان أول راتب استلمه ٦ جنيهات.

(١) تم نشره في العدد (٩٣١) بتاريخ ١٩٨٩/٩/٥م.

أول مدرسة عمل فيها هي مدرسة «الداودية» في القاهرة، وبقي فيها مدة عامين، نقلته الوزارة ليعمل مدرساً في مدرسة دمياط الابتدائية بتاريخ ١ سبتمبر ١٩٣٥م، ولكن جو دمياط لم يلائم صحته، فطلب الانتقال منها.

نقل إلى مدرسة بني سويف في ١ ديسمبر ١٩٣٥م، نقل بعدها إلى مدرسة حلوان الابتدائية في ١ نوفمبر ١٩٣٦م، وبقي مدرساً فيها أكثر من ٣ سنوات.

استأجر بيتاً جميلاً في حلوان، وكان صاحبه يعمل مأذوناً شرعياً، وأقام فيه مع إخوته طيلة عمره، وعنوانه «٤٢ شارع حيدر، حلوان».

نقل إلى وزارة المعارف بتاريخ ١ أبريل ١٩٤٠م، ليعمل بوظيفة «محرر عربي» في مراقبة الثقافة فيها.

نقل إلى إدارة الترجمة والإحصاء في الوزارة بتاريخ ١٧ أبريل ١٩٤٠م، وعين مفتشاً بالتعليم الابتدائي في الوزارة بتاريخ ١ يوليو ١٩٤٠م.

إثر مشكلة بينه وبين أحمد نجيب الهلالي، وزير المعارف، كاد سيد يستقيل على إثرها لولا تدخل د. طه حسين، الذي كان يعمل مستشاراً في الوزارة، حيث أقنع سيد بالعدول عن الاستقالة.

أمضى ٩ أشهر في التفتيش على المدارس في الصعيد وفي الدلتا.

أعيد إلى الإدارة العامة للثقافة في الوزارة، في أبريل ١٩٤٥م، وكان رئيسه فيها أحمد أمين، ألف أول كتاب إسلامي وهو «التصوير الفني في القرآن»، في أبريل ١٩٤٥م.

ابتعد عن عباس العقاد ومدرسته الأدبية عام ١٩٤٦م.

أوفد إلى أمريكا في مهمة ميدانية، للاطلاع على مناهج ونظم التعليم هناك، وسافر في الباخرة في ٣ نوفمبر ١٩٤٨م.

بقي في أمريكا حوالي سنتين متنقلاً بين ولاياتها وجامعاتها ومعاهدها.

عاد من أمريكا بالطائرة في ٢٠ أغسطس ١٩٥٠م.

عين بعد عودته في وزارة المعارف بوظيفة «مراقب مساعد» في مكتب وزير المعارف –وكان وقتها إسماعيل القباني– نقل من الوزارة إلى منطقة القاهرة الجنوبية بتاريخ ٢٢

أكتوبر ١٩٥١م.

أعيد إلى وظيفته الأولى في وزارة المعارف (مراقب مساعد في مكتب الوزير للبحوث الفنية والمشروعات) في ١٧ مايو ١٩٥٢م.

بعد خلافات كثيرة بينه وبين كبار رجال وزارة المعارف، بسبب رفضهم لمقترحاته الإصلاحية ذات الصبغة الإسلامية، قدم استقالته إلى وزير المعارف (إسماعيل القباني) بتاريخ ١٨ أكتوبر ١٩٥٢م.

كان يستحق التقاعد بتاريخ ٢ ديسمبر ١٩٥٣م -لأنه وظف في الوزارة في ٢ ديسمبر ١٩٣٣م- وقد بلغت مدة خدمته ١٨ عاماً و١١ شهراً، عز على وزير المعارف -القباني- تقديم سيد استقالته، وحاول عدة مرات أن يقنعه بالعدول عنها، ولكنّ أصر سيد عليها، وأخيراً رفع الوزير الاستقالة إلى مجلس الوزراء -الذي كان يرأسه جمال عبدالناصر- ونسب بأن تضاف إلى مدة خدمته المدة القانونية المتبقية ليستحق الراتب التقاعدي.

لكن مجلس وزراء الثورة وافق على الاستقالة من تاريخ تقديم سيد لها في ١٨ أكتوبر ١٩٥٢م، بذلك حرم سيد من التقاعد.

وكانت موافقة المجلس على الاستقالة في ١٣ يناير ١٩٥٤م.

كان الاعتقال الأول لسيد قطب في مطلع عام ١٩٥٤م، وبقي معتقلاً -مع قيادة الإخوان المسلمين- أكثر من شهرين.

انضم سيد قطب إلى جماعة الإخوان المسلمين رسمياً عام ١٩٥٣م، وكان قبل هذا التاريخ قريباً من الإخوان متعاوناً معهم، أو قل: كان في طريقه إلى الإخوان المسلمين.

اعتقل الاعتقال الثاني بعد مسرحية حادث المنشية التي اتُّهم فيها الإخوان المسلمون بمحاولة اغتيال عبدالناصر في ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤م.

قدم للمحاكمة في ٢٢ نوفمبر ١٩٥٤م، وكانت المحكمة برئاسة جمال سالم، وعضوية أنور السادات، وحسين الشافعي، وحكمت عليه المحكمة بالسجن لمدة ١٥ عاماً.

توسط الرئيس العراقي عبدالسلام عارف لدى عبدالناصر للإفراج عن سيد، وأفرج عنه بعفو صحي عام ١٩٦٤م.

أعلن عبدالناصر من موسكو عن اكتشاف مؤامرة دبرها الإخوان المسلمون بقيادة سيد قطب لاغتياله وقلب نظام الحكم.

اعتقل سيد قطب الاعتقال الثالث الرهيب في ٩ أغسطس ١٩٦٥م.

بدأ التحقيق مع سيد قطب في السجن الحربي في ١٩ ديسمبر ١٩٦٥م، واستمر ٣ أيام.

بدأت محاكمة سيد قطب أمام محكمة يرأسها محمد فؤاد الدجوي في ١٢ أبريل ١٩٦٦م.

أصدر الدجوي حكم الإعدام على سيد قطب في ٢١ أغسطس ١٩٦٦م.

أثار حكم الإعدام استياء بالغاً واحتجاجاً قوياً في العالم العربي والإسلامي، وأرسلت برقيات من كثير من الأوساط الرسمية والمهنية والشعبية لعبدالناصر ليخفف حكم الإعدام على سيد قطب.

وفي ٢٨ أغسطس ١٩٦٦م، وصلت لعبدالناصر برقية من الملك فيصل يرجوه فيها عدم إعدام سيد قطب، وأوصل سامي شرف البرقية لعبدالناصر في ذلك المساء، فقال له: «أعدموه في الفجر بكرة واعرض عليَّ البرقية بتاعت سي فيصل بعد الإعدام، ثم أرسل له برقية اعتذار»!

وتم إعدام الشهيد سيد قطب قبل بزوغ فجر يوم الإثنين ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦هـ/ ٢٩ أغسطس ١٩٦٦م.

تقبل الله جهده وجهاده وعطاءه وأجزل له المثوبة والأجر والثواب.

النشاط الدعوي للدكتور صلاح الخالدي في الإعلام

لـم يكتـف د. صلاح الخالدي بتأليف الكتب، ولكنـه -يرحمه الله- مارس الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى من خلال الكتابة في مجموعة من الصحف، وهذه بعض مقالاته التي نشرتها بعض الصحف:

- إنهم جميعاً يصدرون عن مصدر واحد، هو تلك الحضارة المادية التي لا قلب لها ولا ضمير، تلك الحضارة التي لا تسـمع إلا صوت الآلات، ولا تتحدث إلا بلسـان التجارة، ولا تنظر إلا بعين المرابي، التي تقيس الإنسانية كلها بهذه المقاييس.

- إن الربانية خط واضح في شـخصية صاحب العلم، وجذر أصيل متعمّق في كيانه، وخيط دقيق متينٌ، يشد إليه كل جزئيّات نفسه، وكلّ مجالات حياته.

- الإخلاص لله هو روح كل دين، وهو خلاصة الأوامر الربانية للمسـلمين السـابقين، أتباع الأنبياء والمرسلين.

- صراعنا مع اليهود مفتوح ومستمر ومتواصل، ونحن نعيش في هذا الزمان الإفساد الثاني لليهود، الذي تحدثت عنه الآيات الأولى من سـورة «الإسراء»، والأرجح أن الإفساد الأول الـذي تحدثـت عنـه الآيات كان فـي الحجاز، في منطقـة المدينة ومـا حولها، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه هم الذين أزالوا ذلك الإفساد الأول.

ويعقب بعدها الإفساد الثاني اليهودي، وهو إفساد حول «المسجد الأقصى»، والاحتلال اليهودي احتلال للأرض المباركة وحول المسـجد الأقصى، وسـتتوحد الأمة المسـلمة بإذن الله حول المسجد الأقصى، وسيحدوها النداء المبارك الصادر مما حول المسجد الأقصى، وسـترتبط قلوب المسلمين في المشـارق والمغارب حول المسجد الأقصى، وستكون نبضات هذه القلوب مبرمجة مع ما حول المسجد الأقصى.

وسـتنجح مواكـب المجاهديـن القادمة فـي الوصول إلـى ما حول المسـجد الأقصى، وسـتدخل هذه المواكب المباركة المسـجد الأقصى، كما دخله أجدادها من الصحابة! وهذا

مـا جزم به القرآن ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُـوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْـجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً﴾ (الإسراء:٧).

نصرة الشعب السوري عبادة

يعيش الشعب السوري في هذه الأيام ملحمة كبيرة، ونفذ الوحوش الحاكمون في الشام ضده «مجزرة»، وقدم هذا الشعب الأبي آلاف الشهداء، وعشرات آلاف الجرحى والمساجين، ومئات آلاف المُهجرين إلى الخارج.

وأعتقد جازماً أن اليهود -لحاكمين في فلسطين، والمتحكمين في العالم- هم الذين وراء مأساة أهلنا في سورية، وهم الذين يدفعون عصابة الوحوش الحاكمة إلى التنكيل بهذا الشعب، لأن بينهم وبين السوريين «ثأراً»، فقد كان للرجال المجاهدين السوريين جهود عظيمة في الجهاد ضد اليهود على أرض فلسطين، ولا ننسى العالم السوري المجاهد عز الدين القسام، ولا ننسى كتائب الإخوان المسلمين بقيادة د. مصطفى السباعي، والإسلام قوي في الشام وراسخ ومكين، ومرور أكثر من أربعين عاماً على حكم العصابة المتوحشة في الشام لم يؤثر على قوة الإسلام فيها، وللإسلام مستقبل مشرق في بلاد الشام، وستتلاشى الفاشية المظلمة التي غشيت سورية على أيدي العصابة الحاكمة المتوحشة.

وعلينا واجب كبير نحو أهلنا وأحبابنا السوريين، سواء كانوا في الداخل أم اضطروا إلى الخروج إلينا، وشعبنا طيب كريم مضياف، يحسن التفاعل مع الأحداث والمشكلات، ويحسن التعامل مع القادمين الوافدين إليه، ويحسن إكرام هؤلاء ونصرتهم، والشكر موصول لشعبنا بمختلف مدنه وقراه، وقبائله وعشائره وأحزابه وتنظيماته، والشكر الخاص للحركة الإسلامية في بلادنا، وهي الحركة الوفية الكريمة، التي تبنت نصرة أهلنا السوريين، ودعم الوافدين منهم إلى بلادنا، وتنظيم المسيرات والجُمعات والمهرجانات لنصرة ودعم أهلنا السوريين، وفتح باب تقديم المساعدات العينية والمادية لإغاثة هؤلاء، والشكر الخاص للعلماء العاملين الذين تداعوا للالتقاء بالأهل الوافدين في الرمثا وترتيب مهرجان لنصرتهم في عمَّان.

والشكر الخاص للعلماء من الخطباء الذين تناولوا ملحمة الشعب السوري في خطبهم، وللأئمة المخلصين الذين كانوا يقنتون في صلواتهم، ويدعون من قلوبهم بالفرج والنصر لأهلنا السوريين، ويدعون على من ظلموهم، هؤلاء هم الذين عاشوا ملحمة أهلنا

السوريين وتفاعلوا معها، وهناك شيوخ غائبون عن الساحة والأحداث، لا في العير ولا في النفير كما يقال، أحد هؤلاء الشيوخ إمام مسجد، كان غائباً عما يجري، ولما نصحه المصلون أن يقنت في الصلاة، وأن يدعو الله للشعب المنكوب غضب ورفض وقال: أنا لا أدعو إلا للأردنّ!

يا أحبابنا الصالحين والصالحات، أدعوكم إلى مزيد من نصرة أهلكم السوريين، وإلى المزيد من دعمهم ومساعدتهم وإغاثتهم وتأييدهم، ومزيد من التفاعل الحي المؤثر مع ملحمتهم، ومزيد من مشاركتهم أجر الجهاد والرباط والثبات والنصرة والتحدي.

وأقول لكم يا أحبابنا: أفضل المسلمين هم الذين يجاهدون المجرمين الظالمين، ويواجهونهم ويثْبُتون على الحق أمامهم، هؤلاء المجاهدون السوريون من أفضل المسلمين ومن أكثرهم قرباً من الله، وأقول لكم: إن نصرة هؤلاء الأهل والأحباب واجب شرعي وديني وإسلامي، وهي عبادة منكم لله، هذه العبادة أفضل من صلاة النافلة، ومن الأذكار والتسبيحات، وهي قُربة تتقربون بها إلى الله تعالى، وإن تفاعلكم مع هؤلاء الأهل هي أقصر وأسرع طريق تقربكم من الله وتوصلكم إليه، اعبدوا الله يا أحبابنا بخدمة هؤلاء الوافدين الكرماء، وتقربوا إلى الله بمساعدتهم وإغاثتهم، وهذا طريق مضمون يوصلكم إلى الجنة بإذن الله، وتكون هذه العبادة الجهادية بأداء الأفعال التالية:

١- أن تعيشوا ملحمة الشعب السوري بقلوبكم ومشاعركم وأعصابكم وأحاسيسكم، وأن تحزنوا وتتألموا، وأن تجعلوا هذا الحزن والألم من أجلهم عبادة وقربة أخرى لله، على ألا يكون حزنكم إحباطاً وقنوطاً، لكنه حزن إيجابي دافع محرك، وكله أمل ويقين بانتصار الحق على الباطل في سورية وغيرها.

٢- أن تتوجهوا إلى الله بالدعاء الخالص من القلب، مع الإنابة والتضرع، ادعوا الله لأحبابكم السوريين المجاهدين بالنصر والتمكين وإزالة الكرب والغم، وادعوا الله على المتوحشين اليهود الحاكمين في دمشق، بأن يقصمهم الله، اقنتوا في صلواتكم الفردية والجماعية، وادعوا في سجودكم متضرعين، وادعوا بعد الصلوات وادعوا عندما تشاهدون المجازر عبر الفضائيات، فالدعاء زاد لكم ولهم.

٣- أن تتحدثوا عن أحبابكم في داخل سورية وخارجها في جلساتكم ولقاءاتكم

وأحاديثكم وحواراتكم، أينما كنتم، ليكن الحديث عن سورية ونصرة شعبها هو المادة الأولى لحديث الأهل والأقارب والعائلات، ولأحاديث المساجد والمراكز، ولأحاديث أساتذة الجامعات وأحاديث الطلبة في لقاءاتهم، فهذه صورة من صور الحضور والتفاعل والحيوية، وهذه المشاركة القولية معهم بعد المشاركة الشعورية.

٤- تقديم كل صور الدعم والمساعدة المالية والعينية، وزيارتهم في أماكن تجمعهم في الأردن، وإشعارهم بأنكم معهم، وجمع التبرعات والمساعدات وتوصيلها لهم، هذه عبادات جهادية، تتقربون إلى الله بها، وتنصرون بها إخوانكم المجاهدين فأدوها مأجورين[1].

(١) المصدر: موقع د. صلاح الخالدي، د. صلاح الخالدي ٢٠١٣/٣/١م.

حقائق في ذكرى النكبة

نعيش في هذه الأيام الذكرى الثالثة والستين للنكبة الكبرى، التي وقعت على أرضنا المقدسة؛ فقبل ٦٣ عاماً تمكن المحتلون المغتصبون اليهود من اغتصاب جزء كبير من أرض فلسطين، وأعلنوا إنشاء كيانهم الباطل على ذلك الجزء المغتصب، وسارعت دول العالم الاستعمارية إلى الاعتراف بذلك الكيان، واعتاد أهلنا الفلسطينيون على إحياء ذكرى النكبة في الخامس عشر من مايو من كل عام، وإقامة فعاليات مختلفة، تُنشط الذاكرة الفلسطينية في الداخل والشتات؛ حتى لا ينسى الأبناء والأحفاد هذه القضية الحية.

وأحب في ذكرى النكبة لهذا العام أن أُذكِّر بمجموعة من الحقائق اليقينية القاطعة، وأدعو القراء الكرام إلى تذكرها والتذكير بها، وإبقائها حية حاضرة؛ لتكون عاملاً أساسياً في الإسراع في حل قضيتنا الأولى، وإزالة نكبتنا الكبرى:

١- فلسطين قلب العالم العربي والإسلامي، وأشرف وأفضل الأماكن في العالم، بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة، من وجهة النظر الإسلامية الصائبة، وهي الأرض المباركة، التي باركها الله وبارك من فيها وما فيها، ومن حولها وما حولها حتى قيام الساعة.

٢- القضية الفلسطينية هي القضية المركزية الأولى عند العرب والمسلمين، لا يجوز أن تقدم عليها أي قضية أخرى، إقليمية أو عنصرية، محلية أو داخلية أو خارجية؛ لأنه لن يستقر بلد عربي ولن يأمن ولن يتقدم، طالما أن فلسطين محتلة، ونكبتها متواصلة، وعلى الحركة الإسلامية على وجه الخصوص أن تجعل القضية الفلسطينية قضيتها المركزية الأولى، وعلى رأس اهتماماتها، وفي مقدمة أولوياتها، وتَقَدُّم ونجاح هذه الحركة مرهون بمستوى نظرتها إلى القضية الفلسطينية واهتمامها بها.

٣- يجب التعامل مع القضية الفلسطينية من منطلق إسلامي إيماني قرآني، ويجب إدخال القرآن والإسلام المعركة مع اليهود؛ فالقضية الفلسطينية قضية إسلامية في المقام الأول، والانطلاق إليها من المقررات الإسلامية، المتمثلة في آيات القرآن وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحقائق الإسلام الهادية، وهي قضية كل مسلم في العالم،

واستصحاب مقررات الكتاب والسُّنة في التعامل مع هذه القضية كفيلٌ بالنجاح فيها.

٤- اليهود أشد عداوة لنا، نحن أهل فلسطين، ولكل عربي مخلص، ومسلم صادق، وهذه حقيقة قرآنية قاطعة، جزم بها القرآن في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى﴾ (المائدة: ٨٢)، ولم تتوقف عداوتهم الشديدة للمسلمين عبر قرون التاريخ الإسلامي، وقد ازدادت عداوتهم حدة وشدة في هذا القرن، الذي توجهوا فيه لإنشاء كيانهم الباطل على أرض فلسطين، وهم الذين يقودون ويوجهون العالم الآن في حربنا وغزونا ومعاداتنا.

٥- صراعنا مع اليهود صراع طويل، ممتد عبر الزمان الماضي، فهو لم يبدأ منذ القرن العشرين، عند «وعد بلفور»، أو قبله بقليل، أو بعده، أو عند النكبة عام ١٩٤٨م، أو بعدها، وإنما بدأ منذ بعثة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، قبل أكثر من خمسة عشر قرناً، وهو صراع بين الحق الإسلامي والباطل اليهودي، وصراع بين رسالة الهدى ورسالة الضلال، وصراع بين العباد الربانيين المسلمين، وبين الشياطين المفسدين المغتصبين.

وميدان هذا الصراع هو أرض فلسطين المقدسة المباركة وما حولها؛ ففلسطين ليست سبب عداوتنا لهم وعداوتهم لنا، إنما هي الميدان الساخن لهذه العداوة.

٦- القرآن خير من تكلم عن اليهود، وبيّن جرائمهم وإفسادهم، وفضح انحرافهم وسوء أخلاقهم، وعرفنا على شخصيتهم المعقدة، ومخططاتهم التوسُّعيّة.. وعلى المسلمين المواجهين للهيمنة اليهودية العودة إلى القرآن الكريم، والوقوف طويلاً أمام آياته التي تحدثت عن اليهود وفضحتهم؛ ليعرفوا كيف يتعاملون مع اليهود، وكيف يواجهونهم وينتصرون عليهم.

٧- ينطلق اليهود من منطلقات دينية محرفة في نظرتهم إلى فلسطين، باعتبارها «أرض الميعاد»، وهم ينشرون على العالم أكاذيب «دينية»، يزعمون فيها أن الله أعطاها لآبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وهم كاذبون في هذه المزاعم؛ فلم يعط الله أرض فلسطين لأبناء إبراهيم عليه السلام، كما أنهم يكذبون في حديثهم عن هيكل سليمان عليه السلام، وفي زعمهم أن سليمان عليه السلام بَنَى هيكلاً ليقيم فيه الرب (!) عندما ينزل على الأرض ليقاتل أعداء اليهود!

فسليمان عليه السلام «إسرائيلي» نسباً، لكنه «مسلم» رسالة ومنهجاً ديناً، وكان نبياً ملكاً عند بني إسرائيل، وقد حكمهم بالإسلام وليس باليهودية، وكان حنيفاً مسلماً ولم يكن يهودياً، وأنشأ مملكة إسلامية وليس مملكة يهودية، وجدد بناء المسجد الأقصى لعبادة الله، ولم يبنِ «هيكل سليمان» المزعوم.

٨- لا حَقّ لليهود على أرض فلسطين، لا دينياً ولا تاريخياً، ولا أخلاقياً، وإقامتهم السابقة على الأرض المقدسة فترة قصيرة من الزمن في عمر الأمم لم تعطهم حق التملك الأبدي للأرض المقدسة وما حولها، منذ زمن سليمان عليه السلام وحتى قيام الساعة.

ولم يعطهم الله الأرض المقدسة في الماضي؛ لأنهم إسرائيليون وأبناء إبراهيم عليه السلام، وإنما أعطاهم إياها لأنهم كانوا مؤمنين، وسط أقوام حولهم كافرين، ولما كفروا بعد ذلك وطغوا وبغوا أوقع الله بهم لعنته وعقابه، وشتتهم في الأرض، وحرمهم من الأرض المقدسة؛ لأن هذه الأرض لله يورثها من يشاء من عباده المؤمنين، وأكد هذه الحقيقة في «الزبور» الذي أنزله الله على نبيهم داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

٩- اليهود محتلون مغتصبون، ومفسدون، وهم الذين بدؤوا بالعدوان علينا بمهاجمتنا وغزونا واحتلال بلادنا، ونحن مأمورون بجهادهم ومواجهتهم، والصلة بيننا وبينهم هي الجهاد والمواجهة، وليس السلام والمسالمة؛ لإزالة كيانهم الباطل، وإنهاء عدوانهم وإفسادهم، منطلقين في ذلك من آيات القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ (البقرة).

والتقادم بمرور السنوات -التي زادت على الستين سنة- لا يلغي حقنا في أرضنا، ولا يمنح اليهود حقاً فيها، ولا يضير كونهم محتلين مغتصبين، يجب إزالة احتلالهم واغتصابهم.

١٠- فلسطين كلها أرض إسلامية، موقوفة على الإسلام والمسلمين؛ ولذلك لا يجوز التفاوض عليها، ويحرم التنازل عن جزء منها لليهود، مهما صغرت مساحته، والواجب تحرير كامل التراب الفلسطيني من العدوان اليهودي، والواجب عودة أهل فلسطين إلى

بيوتهم ومدنهم وقراهم المحتلة عام ١٩٦٧م، وعام ١٩٤٨م، وإجلاء اليهود عن أي شبر منها.

١١- الواجب إبقاء قضية فلسطين حية باقية، تسكن في كيان كل واحد منا، وتعيش في وجداننا وتفكيره، ولا يجوز نسيانها، أو تجاهل الحقائق المتعلقة بها -ومنها هذه الحقيقة المعروضة هنا- والواجب استمرار الدراسات والأعمال والمظاهر والفعاليات، في كل مكان في العالم العربي والإسلامي، التي تُبقي حياة وحيوية القضية، في كيان الأجيال الجديدة والقادمة؛ لتكون أكثر تصميماً على تحرير كامل التراب الفلسطيني من أجيال الآباء والأجداد.

إننا نراهن على استمرار حياة وحيوية قضيتنا الفلسطينية عند الأجيال القادمة، حتى تحرر فلسطين كلها، وهذا أبلغ رد على كلام بن جوريون عندما قال: دعوا الفلسطينيين، فإن هذا الجيل منهم سيموت، وينسى أبناؤهم فلسطين[1]!

(١) المصدر: موقع بصائر. د. صلاح الخالدي ١٨:٠٣-٢٠١١/٠٥/٢٢.

القرآن والقدس والأرض المقدسة

يراهن اليهود على نسيان المسلمين للقدس والأقصى، ولفلسطين الأرض المقدسة، ويرسمون خططهم القادمة على هذا الأساس، وينشرون بين الأجيال الجديدة من المسلمين المخدرات والمفاسد والفواحش والإباحية؛ ليغرقوا فيها، وينسوا البلاد والقضية، والأقصى والإسراء، ويستخدمون أعوانهم وأتباعهم من الموجهين والمنفذين؛ لتحقيق كل ذلك، وقد يستجيب لمخططاتهم بعض أبناء المسلمين، ومعظم القادة الحاكمين، وقد تنسى بعض الأجيال الجديدة القضية، لكن روح الأمة وقلبها النابض، وهم الصالحون والصالحات من حملة الإسلام ودعاته، ومن الملتزمين به عقيدة وعبادة وحياة، هم الذين يواجهون اليهود، ويحبطون مخططاتهم، ويفتحون عيون الأمة على خطرهم.

إن فلسطين كيان المسلمين، وإن القدس في عيونهم، وإن الأقصى في سويداء قلوبهم؛ ولهذا لا ينسون ذلك أبداً، طالما صلوا لله، وقرؤوا في كتابه الكريم، وإذا كان اليهود ينشطون لـ «تهويد القدس» كاملة، ولبناء المستوطنات اليهودية في جبل أبي غنيم وغيره، ويريدون نقل القدس من مكانها؛ ليبنوا مكانها أورشليم، ويضعونها هي في «أبو ديس»، وإذا كنا عاجزين عن منع اليهود من تنفيذ مخططاتهم في هذه المرحلة من ضياع الأمة، فعلينا أن نقوم بجهد المُقِلّ، ومن فقرات جهد المُقِلّ، وليست هي كل شيء، أن نبقى ذاكرين للقدس كلها، وللأقصى المبارك، ولأرض الإسراء ولفلسطين كلها الأرض المقدسة، نبقى ذاكرين لها باعتبارها أرضنا وبلادنا وقضيتنا، وأن الوجود اليهودي عليها شاذ نشاز، لا بُدّ أن يُزال في يوم من الأيام.

إن القدس والأرض المقدسة مرتبطة مع القرآن ارتباطاً وثيقاً، لقد خلد الله القضية عندما سجلها في آيات القرآن الكريم، ونص على أن فلسطين أرض مباركة مقدسة، وأن المسجد الأقصى مبارك، بارك الله حوله، ولا يستطيع اليهود -ولا أتباعهم من بعض العرب- محو الآيات التي تتحدث عن ذلك وشطبها من القرآن، ولو أنهم شطبوها من مناهج المدارس، وهذا هو الزاد اليومي لكل مسلم ومسلمة، فكلما ذكرنا سورة «الإسراء»

تذكرنا الأقصى والقدس وفلسطين المباركة.

أيها المسلمون والمسلمات، يا من تعيشون مع القرآن وتسعدون قلوبكم وكيانكم به، أكثروا النظر في آياته التي تتحدث عن قضيتكم وأقصاكم وقدسكم ومسرى نبيّكم، وأديموا تذكر القدس الشريف والأقصى المبارك وفلسطين المقدسة، تذكّروها كل يوم مرات ومرات، تذكروها بعد الصلوات، وتذكروها مع الأذكار والتسبيحات، وتذكّروها واذكروها وذكِّروا الآخرين بها في اللقاءات والجلسات والكلمات والندوات، ومن نسي القدس وفلسطين فقد نسي الله، ونسي القرآن، ونسي نفسه وحياته، ومن فعل ذلك فهو من الخاسرين[1].

إن تمسسكم حسنة تسؤهم!

المصالحة الفلسطينية ما أن وقّع ممثلو حركتي حماس وفتح على مشروع المصالحة بينهما في القاهرة، حتى جنّ جنون اليهود الغاصبين، وأصدروا تصريحات حادة عنيفة هستيرية، هددوا فيها «السلطة» بالويل والثبور، ومما أعلنوا من تصريحات -والمخفي أعظم- قول رئيس عصابتهم «النتن- ياهو": على أبي مازن أن يختار؛ إما السلام مع «إسرائيل»، وإما المصالحة مع حماس! وقول وزير خارجية العصابة -البودي جارد- «ليبرمان": سنتخذ مجموعة إجراءات ضد السلطة، ومن بينها منع محمود عباس من السفر أو الحركة.

وبدأت إجراءات عصابة اليهود الغاصبة ضد السلطة، حيث اتخذت قراراً بعدم إعطاء السلطة أموال الضرائب، والبالغة مليارات من الدولارات! وقرر «النتن- ياهو» إرسال وزرائه إلى العواصم الغربية لمنع المصالحة بين فتح وحماس!

ولا أتكلم في هذا المقال عن توقيع المصالحة بين الحركتين، ولا في توقيته، ولا في أسبابه وبواعثه، ولا في فوائده وأضراره، ولا في نجاحه أو فشله، ولا في مدى جدية «فتح» في إنقاذه، ولا في مكاسب «حماس» أو في خسائرها منه، فهذا يحتاج إلى كلام مطول، ولا يتسع له هذا المقال، إنما أقف أمام رد الفعل الصادر عن العصابة اليهودية

(١) المصدر: جريدة السبيل الأردنية، د. صلاح الخالدي، ٢٠١٠/١٢/٢٠.

الغاصبة، ودلالة ذلك، وحديث القرآن عنها؛ لنزداد بصيرة ووعياً قرآنياً، ولنعرف حقيقة ما يخطط ضدنا، وما يجري حولنا!

لقد تبنت العصابة اليهودية السلطة الفلسطينية ودعمتها واحتضنتها، ورمى رجال السلطة أنفسهم في الحضن اليهودي، وارتبطوا به ارتباط الجنين بالحبل السري في رحم أمه؛ وبذلك نالوا رضا العصابة اليهودية وتأييدها والثناء عليها، وعمل اليهود على توسيع الانقسام بين الضفة وغزة، وعلى تعميق الخلاف بين فتح وحماس، وعلى منع فتح من أي مصالحة مع حماس!

ولما بدا لرجال من فتح والسلطة أن من مصلحتهم مصالحة حماس -لسبب أو لآخر- ووافقوا على جهود مصر لتحقيق المصالحة، سارع اليهود بشتمهم وتهديدهم والضغط عليهم، والمخفي أعظم.

الأعداء اليهود يفرحون للانقسام الفلسطيني، ويوسعونه ويزيدونه، والأعداء اليهود يغضبون ويستاؤون من إنهائه، ومن اتحاد القوى الفلسطينية، ويحرصون على إجهاض ذلك.

ماذا قال القرآن عن ذلك؟

تعالوا معنا يا أحبابنا من القارئين والقارئات إلى تدبر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران).

أدعو أحبابي إلى إمعان النظر في كل من هذه الآيات الثلاث، وإلى إحسان إنزالها على واقعنا المعاصر، وإلى تأمل تصويرها لملامح أعدائنا، وانطباق ذلك على العصابة اليهودية المحتلة.

أي حسنة تصيبنا تسيء اليهود وتزعجهم وتغضبهم؛ ولذلك أصيبوا بالهستيريا من توقيع المصالحة، وأي سيئة تصيبنا تفرح اليهود وتسعدهم؛ ولذلك كانوا حريصين على تعميق الانقسام، ومنع المصالحة.

المشكلة ليست عند اليهود فهم أعداء، وهذا متوقّع منهم، إنما المشكلة في مسؤولين عرب يرتمون في أحضان اليهود -سراً أو علناً- ويحققون مرادهم السيئ فينا[1].

(١) المصدر: وكالة البوصلة للأنباء، د. صلاح الخالدي ٢٠١١/٥/٤م.

قصة صاحب الجنتين

قصة صاحب الجنتين في سورة «الكهف» تقوم على القصص، واستوعبت قصصها معظم آياتها، وقصّ الله علينا في هذه السورة أربع قصص: قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنّتَيْن، وقصة موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام، ثم قصة ذي القرنين، ونقف في هذه اللحظة مع مجمل قصة صاحب الجنتين، كما عرضتها الآيات (٣٢- ٤٤) من السورة.

ونسارع إلى القول: لا توجد أحاديث صحيحة مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تضيف لنا معلومات جديدة على ما ذكره القرآن عن القصة؛ ولهذا سنبقى مع الآيات الكريمة، نقول بما قالت به، ونسكت عما سكتت الآيات عنه، ولا نذكر إسرائيليات أو روايات غير صحيحة في عرض هذه القصة، وغيرها من القصص القرآني.

تخبرنا آيات القصة عن وجود رجلين في الماضي، كان بينهما صلة وصحبة، أحدهما مؤمن، والآخر كافر، وقد أَبهمت الآيات اسمَيّ الرجُلَيْن، كما أبهمت تحديد زمانهما ومكانهما وقومهما، فلا نعرف مَن هما، ولا أين عاشا، ولا في أيِّ زمان وُجِدا.

ابتلى الله الرجُلَ المؤمن بضيق ذات اليد، وقلة الرزق والمال والمتاع، لكنه أنعم عليه بأعظم نعمة، وهي نعمة الإيمان واليقين والرضا بقدر الله وابتغاء ما عند الله، وهي نِعَمٌ تفوق المال والمتاع الزائل.

أما صاحبه الكافر فقد ابتلاه الله بأن بَسَط له الرزق، ووسّع عليه في الدنيا، وآتاه الكثير من المال والمتاع، ليبلوه هل يشكر أم يكفر؟ وهل يطغى أم يتواضع؟

جعل الله لذلك الكافر جنّتَيْن، والمراد بالجنّة هو البستان أو المزرعة، أي أنه كان يملك مزرعتين.

ووصفت الآيات المزرعتين بقوله: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً ۝٣٢ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا

خِـلَالَهُمَا نَهَراً ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ (الكهف).

كانتا مزرعتين من أعناب، وكانتا مُسـوّرَتَيْن بأسـرابِ النخل من جميع الجهات، وكان صاحبهمـا يـزرع الزرع بين الأعنـاب، وقد فجّرَ الله لـه نهراً، فكان يجري بـين الجنّتَيْن (المزرعتين)، وكان صاحبهما يجني ثمارَهما، ثمار الأعناب، وثمار النخل، وثمار الزرع.

وتُقدم لنا الآيات إشارة لطيفة إلى تنسيق الحدائق والمزارع والبساتين، فكانت المزرعتان مِن أعناب، مزروعة فيهما بتناسق، وكان النخل سوراً محيطاً بهما، وكان الزرع والخضار والبقول يزرع بين أسراب الأعناب، وكان النهر بينهما وقنواته تجري وسطهما، فماذا تريد تنسيقاً هندسياً أبدع من هذا التنسيق الزراعي فيهما؟

أُعجِـبَ الرجلُ الكافـر بجنّتيه، وافتخـرَ بمزرعتَيْه، واعتزّ بهمـا، ودخلهما وهو ظالمٌ لنفسِـه، كافرٌ بربّه، متكبرٌ على الآخرين، وقـال: إنهما مزرعتان دائمتان أبَدِيّتان لن تبيدا أبداً، وأنا أغنى الناس وأسعدهم بهما، وهما كل شيء، وليس هناك بعث ولا آخرة ولا جنة غير هاتين الجنتين.

ولاحـظ صاحبه المؤمـن الفقير الصابر غرورَه وبطرَه، فذكّره بالله، ودعاه إلى الإيمان بالله وشـكره، والاعتماد عليه وليس على مزرعتيه، ودعاه إلى أن يقول: ﴿مَا شَـاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (الكهف: ٣٩)، وحذّره مِن عاصفة أو صاعقة تأتي عليهما وتحرقهما.

ولكـن الكافرَ المغرور أسـكرته نشـوة التملُّـك، فرفض كلام وتحذيـر وتوجيه صاحبه المؤمـن، وزاد اعتـزازه بمزرعتيه واعتماده عليهما، وحصل ما حـذّره منه صاحبه المؤمن، فأرسـل الله علـى مزرعتيه صاعقة، فأحرقتهما! أحرقـت العنب والنخل والزرع، وقضت علـى الشـجر والـزرع والثمر، ولم يبقَ مِن المزرعتين شـيء، كل هذا جرى في سـاعة من ساعات الليل.

وفي الصباح ذهب المغرور إلى جنتيه كعادته، فإذا بهما فانيتان بائدتان، فأسـقط في يديه، وشعر بالندم وأيقن بالخسارة، التي أتت على كل ما يملك، وتمنى لو استجاب لنصح صاحبه المؤمن، ولكن متى؟ بعد فوات الأوان!

وعلّـق القرآن علـى هذه القصة، فقال في الآية الأخيرة: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ

خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً﴾ (الكهف: ٤٤).

تُرى كم تتكرر قصة صاحب الجنتين في أيامنا هذه، في مجالاتها وصورها المختلفة[١]؟!

(١) المصدر: موقع جمعية الاتحاد الإسلامي، د. صلاح الخالدي، ٢٠١٠/١٢/٥م.

أزمتنا أزمة ثوابت

لا يشك أحد في أن المسلمين المعاصرين يواجهون أخطر التحديات التي مرت بهم في تاريخهم كله، حيث وقفوا أمام التحدي العالمي الكبير، والكيد العالمي الحاقد، والغزو الفكري الشرس، وأخطر ما في ذلك التحدي، وأشرس ما في ذلك الغزو، هو الخطر اليهودي الماحق.

لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في تصويره الخطر الذي يهدد هؤلاء المسلمين، وذلك فيما رواه أبو داود عن ثوبان، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: يا رسول الله، وما هو الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت"[1].

وفي هذا التحدي العالمي الكبير، والغزو الفكري الخطير، نجد رحى الإسلام ومواقعه دائرة، ونحن مطالبون أن نكون مع الإسلام، في رحاه ومعاركه ومواقعه، وأن نثبت عليه، وأن ندور معه حيث دار.

وقد دلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الثابت الأساسي، وأوصانا فيه بوصية جامعة؛ فقد روى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خذوا العطاء ما دام عطاء، فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه، فلا تأخذوه، ولستم بتاركيه، فيمنعكم من ذلك المخافة والفقر، ألا إن رحى الإيمان دائرة، فدوروا مع الكتاب حيث يدور، ألا وإن السلطان والكتاب سيفترقان، ألا فلا تفارقوا الكتاب، ألا إنه سيكون عليكم أمراء، إن أطعتموهم أضلوكم، وإن عصيتموهم قتلوكم»، قالوا: فكيف نصنع يا رسول الله؟ قال: «كما صنع أصحاب عيسى، حملوا على الخشب، ونشروا بالمناشير!

(١) سنن أبي داود: كتاب الملاحم رقم (٣٦)، باب في تداعي الأمم على الإسلام رقم (٥)، حديث رقم (٤٢٩٧).

موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله"[1].

إننا لا نجتاز هذه المرحلة، ولا نتجاوز هذه المحنة، ولا ننجح في هذا التحدي إلا بالثوابت، بمعرفتها وملاحظتها ومعايشتها والثبات عليها والانطلاق منها.

وسوف نجتاز هذه المحنة الخطيرة -بإذن الله تعالى- كما اجتاز أسلافنا المحن السابقة، وسيخرج الإسلام -بإذن الله عز وجل- من هذه المحنة أصيلاً صافياً ظافراً منتصراً، كما حصل في السابق!

من مزايا هذه الثوابت للمسلم المعاصر:

توفر للثوابت الإسلامية ما لم يتوفر لغيرها من القواعد والأسس، من مزايا وسمات وخصائص؛ وذلك بفضل التميز والتفرد الملحوظين في الدين الإسلامي العظيم.

١- أنها ثمرة طيبة لشجرة مباركة، إنها ثمرة لشجرة الإيمان في قلبه وكيانه؛ ولذلك هي مرتبطة بالإيمان عنده سلباً وإيجاباً، فإذا قوي إيمانه ترسخت ثوابته، وإذا ضعف إيمانه وهت واهتزت ثوابته.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم).

٢- أنها أصيلة، حيث يستمدها المسلم من توجيهات القرآن الكريم، وإرشادات السُّنة الشريفة الصحيحة، ومن تطبيق الرسول صلى الله عليه وسلم العملي لها، ومن التزام الصحابة الكرام، والعلماء الأعلام، والمصلحين العظام بها وثباتهم عليها.

أي أن المسلم المعاصر -في التزامه بهذه الثوابت- متبع وليس مبتدعاً، مهتد وليس ضالاً ولا مضلاً، يسير فيها على خُطى من سبقه، من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

٣- أنها ملزمة لهذا المسلم، بمعنى أنه يجب عليه ملاحظتها، والثبات عليها، والالتزام

(١) رواه إسحاق، ورواه أحمد بن منيع، وقال البوصيري: رواه أحمد بن منيع ثقات. انظر: «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» لابن حجر العسقلاني، تحقيق عبدالرحمن الأعظمي، ٤/٢٦٧-٢٦٨، حديث رقم (٤٤٠٨).

بها، إن أراد أن يعيش إسلامه عملياً، وينجح في مواجهة أعدائه والفوز برضوان ربه.

إنه ليس مخيّراً فيها، إن شاء التزم بها، وإن شاء تخلى عنها، إنها من لوازم إيمانه ومظاهر إسلامه.

٤- أن لها مجالاً واسعاً، وبُعداً عريضاً، فهي شاملة لحياته كلها، في كل مرافقها وجوانبها وآفاقها ومظاهرها، في المجال الفردي والجماعي والاجتماعي، مع نفسه ومع المقربين والآخرين والناس أجمعين.

٥- أنها سر شخصية المسلم وهيبته ووجوده، فبها يعيش حياته حراً أبياً، وعزيزاً كريماً، يرفض الضيم، ويستعلي على مظاهر الضعف، ويصبر على الأذى، ويحتمل الابتلاء، ويواجه الظلم والجبروت والطغيان، ويفرض احترامه وتقديره على الآخرين، ولو كانوا أعداءه ومحاربيه وسجانيه وجلاديه.

٦- أنها لله، يتوجه بها المسلم لربه، بإخلاص وإنابة وتجرد، لا يطلب عليها من الناس جزاء ولا شكوراً، ولا ينتظر منهم ثناء ولا مدحاً، بل يعتبرها عبادة يتقرب بها لله، يرجو منه وحده الثواب عليها.

إن مراعاة المسلم للثوابت الإيمانية عبادة، وإن ثباته على هذه الثوابت عبادة، تكاد تساوي بعض الشعائر التعبدية التطوعية، التي اعتاد مسلمون أداءها لله.

٧- أنها مظهر من مظاهر حاجة المسلم لربه، ولجوئه إليه، واستعانته والعوذ به، فهو يعتبر أنه وحده لن يصمد لها ولن يثبت عليها؛ ولذلك يتوجه إلى ربه بحاجة وإلحاح واضطرار، فيطلب منه سبحانه العون والتثبيت، ويدعوه بتضرع ومسكنة قائلاً: «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، اللهم يا مصرف الأبصار اصرف بصري إلى طاعتك».

٨- أنها ضرورية لهذا المسلم، إذ هي صمام الأمان له، يقيه -بفضل الله تعالى- من الشرود والضياع والانفلات والانحراف، وهي بمنزلة قارب إنقاذ له، يجتاز به الأعاصير والأمواج والعواصف، وسفينة نجاة يعبر بها بحر الحياة الزاخر المتلاطم، وبدون هذه الثوابت لن ينجح في تجاوز كل هذه الأخطار والأهوال، والوصول إلى بر الأمان بأمان وسلام.

٩- أنهـا ملازمة لهذا المسـلم، لا يُتصوّر تخليه عنها، ولا تركـه لها، إنها ألصق به من جلـده، فإذا أمكنه الانسـلاخ من جلده، والسـير في الأرض مسـلوخاً فليفكر عندها في انسـلاخه عـن ثوابته! وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿وَاتْـلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِىَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَـعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْـهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ (الأعراف).

إن هذه الثوابت ألزم للمسلم من روحه التي بين جنبيه؛ لأنه بها إنسان حر كريم عزيز أبيّ.

١٠- أنها أغلى عنده من كل شـيء في الحياة، بل أغلى عنده من نفسـه التي يحملها، وأهم عنده من أنفاسـه ونبضات قلبه؛ ولذلك يقدمها على كل شـيء ويضحي من أجلها بكل شيء، ولو كان هذا الشيء هو حياته وروحه، ولو كان هذا الشيء هو أنفاسه ونبضات قلبـه، إنه يضحي من أجلها بماله وأهلـه وولده ومنافعه ومصالحه ودنياه، بل يضحي من أجلهـا بنفسـه وروحه وحياته، ولا يفعل فِعـلَ بعض تجار المبـادئ، وأزلام المواقف، الذين يضحون بثوابتهم من أجل مصالحهم ومنافعهم!

مساومات على الثوابت:

ومن السمات الواضحة والمزايا البارزة لهذه الثوابت أنها لا تقبل المساومة، ولا تخضع للمداهنـة، ولا تجـري عليهـا المناورة، ولا تتأثر بسـوق العـرض والطلـب، ولا تؤثر فيها الظروف والأحوال.

ولكن أعداء الحق يحاولون مداهنة جنود الحق، ويساومونهم على ما عندهم من ثوابت وحقائق، ويدعونهم للتخلي عنها.

حاولوا هذا مع نبي الله إبراهيم عليه السلام، ولكنه واجههم بالثبات على ثوابته، قال الله تعالـى: ﴿وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّـونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً﴾ (الأنعام: ٨٠).

وقد دل القرآن محمداً صلى الله عليه وسلم على أسلوب الأعداء الدائم في المساومة على الثوابت، والمداهنة عليها، قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (القلم).

ومن أطرف مساومات قريش للرسول عليه الصلاة والسلام، ما رواه ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، والطبراني، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن قريشاً دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، وقالوا: هذا لك يا محمد، وكف عن شتم آلهتنا، ولا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل فإنا نعرض عليك خصلة واحدة، ولك فيها صلاح، قال: «وما هي؟»، قالوا: تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة! فأنزل الله سورة «الكافرون»[1].

ولقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقطع أملهم فيه، وأن يبطل مساومتهم له على ثوابته، وأن يسمعهم سورة «الكافرون»: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون).

وامتن الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بتثبيته على الحق الثابت، وعصمته له من التنازل عنه والاستجابة لمساومات المشركين والالتقاء معهم في منصف الطريق، قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۝٧٣ وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا ۝٧٤ إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ۝٧٥ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلًا ۝٧٦ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ (الإسراء).

وقد ثبت الله رسوله على الحق، أمام مساومات أعدائه له، في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاتَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (هود: ١٧).

(١) السيوطي: الدر المنثور ٦٥٤/٨.

وهذه التوجيهات القرآنية ليست خاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن من قواعد التفسير أن خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم خطاب لأمته، ما لم يقم دليل على التخصيص، ولكنها موجهة لكل مسلم حتى قيام الساعة،

وما أحوج المسلم المعاصر الذي يواجه التحدي العالمي الخطير، إلى إطالة الوقفة أمام هذه التوجيهات القرآنية حول الثبات على الثوابت، وتلقي إشاراتها وتقريراتها وإيحاءاتها؛ ليزداد ثباتاً على ثبات[1].

(١) المصدر: كتاب «ثوابت للمسلم المعاصر»، د. صلاح عبدالفتاح الخالدي، ٢٠١٠/١٠/٢٧م.

كنيسة تخرِّج أئمة!

كان الله في عون الأئمة والخطباء والمفتين في هذا الزمان، القائم على الهوى والمزاجية! إن هؤلاء الأئمة «مستهدفون»، وكل شخص أو مسؤول أو زعيم أو نظام يتعامل معهم وفق هواه، ولا بد أن يقدِّموا له الإسلام والفتوى وفق هواه، ومن لم يفعل ذلك فهو إمام متطرف أو خطيب متعصب أو مُفتٍ جاهل.

وتعامل المسؤولين والجمهور في العالم أجمع مع هؤلاء الأئمة كتعامل اليهود السابقين المزاجي مع أنبيائهم، الذي أخبرنا الله عنه في قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة: ٨٧).

الحاكم يريد إماماً لا يتكلّم عن الحكم بما أنزل الله، ولا عن موالاة أعداء الله، والغني يريد إماماً لا يتكلم عن الربا والغش والزكاة، والمسؤول يريد إماماً لا يتكلم عن سرقة الأموال وظلم المواطنين، والمرأة تريد إماماً لا يكلِّمها عن الستر والحجاب والجلباب، واليهود يريدون إماماً لا يكلمهم عن الاحتلال والجهاد، وأمريكا تريد إماماً «أعمى أصم أبكم»، لا يرى جرائمها في العالم، ولا يحذر المسلمين منها، وأوروبا تريد إماماً يدعو إلى «تذويب» المسلمين في مجتمعاتها، ويشارك في حوارات الأديان فيها، ولا يتكلم عن كفر غير المسلمين، ولا عن الجهاد في سبيل الله!

ألم أقل لكم: كان الله في عون الأئمة والخطباء والمفتين في العالم كله؟!

أستاذ في الجامعة، يسأله أحد الطلاب عن حكم الجهاد لتحرير العراق من الاحتلال الأمريكي، فيجيبه بوجوب هذا الجهاد! ولم يعجب هذا الجواب المسؤولين هناك، فيعتقلون هذا الدكتور، ويعذبونه ويحكمون عليه، وبعد انتهاء محكوميته يُبقونه في السجن، حتى يأتيه الموت، ولم يعلم أهله بموته إلا بعد ذلك بأسابيع!

وإمام في ألمانيا يُفصل من عمله، ويوقف عن الإمامة، ويُعاد إلى بلده العربي، وجريمته أنه يقرأ في الصلاة آيات القرآن التي تتحدث عن كفر اليهود والنصارى، وعن الجهاد في

سبيل الله! فهذا الإمام إرهابي، وينشر الكراهية في المجتمع الألماني!

ورغم «الضغط» على الأئمة بمختلف الأساليب، من ترغيب وترهيب، وإغراء ووعيد، فإن كثيرين منهم لم يستجيبوا لتلك الأساليب، وبقوا ثابتين على الحق، ووفوا بعهدهم مع الله تعالى، بأن يبينوا الحق للناس، ولا يكتموه.

والحل الذي تفتقت عنه العقلية الأوروبية -والفرنسية على وجه الخصوص- هو إنتاج أئمة مدجّنين وفق المواصفات الفرنسية؛ لينشروا بين مسلمي فرنسا الإسلام الفرنسي، وليس الإسلام الرباني.

تدخلت الحكومة الفرنسية العلمانية، ووضعت مخططاً لتذويب المسلمين -الذين يزيدون على خمسة ملايين- في المجتمع الفرنسي، ولن يتحقق ذلك المخطط إلا بإعادة تشكيل العقلية الإسلامية من جديد، وذلك عن طريق غسل أدمغة المسلمين، وإخراج نماذج إسلامية مشوّهة تعيش حياتها على الطريقة الفرنسية، بنكهة إسلامية، وليس لها من الإسلام إلا الاسم فقط.

كيف ينجحون في ذلك؟ الحل هو بالأئمة! فلا بد أن يتم إنتاج أئمة مساجد، يتولّون الإمامة والخطابة والتدريس والوعظ والإفتاء، على الطريقة الإسلامية الفرنسية.

واتفقت وزارة الداخلية الفرنسية مع الكنيسة الكاثوليكية في باريس للقيام بهذه المهمة.

وُضعت الخطة الدراسية لدراسة الأئمة في «المعهد الكاثوليكي» في باريس، بالتنسيق بين مسؤولي وزارة الداخلية، والقساوسة في الكنيسة!

ودُعي الشباب المسلمون -رجالاً ونساءً- للاشتراك في هذه «الدورة الكنسية»، ولا يشترك في الدورة إلا من ينجح في المقابلة، وهذه المقابلة بهدف إبعاد أي مسلم أو مسلمة لا يوافق على الاشتراك في هذه الدورة المهزلة.

واستقبلت الكنيسة الكاثوليكية في باريس الأئمة، ودرس فيها في الدفعة الأولى ٢٦ شاباً إماماً، و٦ شابات إمامات، ولما انتهت دراستهم، التحق في الكنيسة ٣٠ إماماً آخرون، بينهم ٤ نساء، وعُقدت الآن الدورة الثالثة في الكنيسة، التي التحق فيها ٣٠ إماماً آخرون!

وتنوي الكنيسة متابعة الدورات، وتخريج الأئمة على دفعات؛ لأن مساجد فرنسا بحاجة إلى أكثر من ألف إمام وإمامة!

ومن أهم المواد التي يدرسها الأئمة في «المعهد الكاثوليكي» ٤ مواد، هي: الثقافة العامة، والقانون، والثقافة الدينية، والتداخل الثقافي.

ويُلزم الطالب الإمام المشترك في الدورة بإعداد بحث ديني، ويناقش هذا البحث، ولا يتخرج الإمام من الكنيسة إلا إذا نجح في بحثه، ولن ينجح في البحث إلا إذا أجازه له أساتذته من القساوسة وغيرهم، عند ذلك يأخذ شهادة «إمام»، وهذه الشهادة صادرة عن المعهد الكاثوليكي المذكور، ومعترَفٌ بها من قبل الداخلية الفرنسية، يعمل بعدها إماماً في مساجد فرنسا، ويقدم للمسلمين فيها هذا «الإسلام الفرنسي» الذي تعلّمه في الكنيسة الكاثوليكية!

هذا هو المخطط الشيطاني لتخريج الأئمة في فرنسا، وهناك مخططات أخرى في مختلف الدول الغربية، لا تقل خطورة عن هذا المخطط، وكان الله في عون الأئمة[1].

(١) المصدر: موقع صحيفة السبيل، د. صلاح الخالدي، ٢٠١٠/١٠/١٤م.

فاتقوا الله ما استطعتم

قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (التغابن: ١٦).

قد يُقصِّر بعض المسلمين في بعض الواجبات، وقد يرتكبون بعض المحظورات، وقد يترخصون أمام بعض الأحكام، وقد يتفلتون أمام بعض التكاليف، وقد لا يحققون التقوى التي طالبهم الله بها، وهذه الأمور كلها مخالفات قد يترتب عليها عذاب يوم القيامة.

ولكن بعض هؤلاء لا يكتفون بما وقع منهم، بل يضيفون إليه جريمة أشد، قد يترتب عليها عذاب أكثر إيلاماً، إنهم يلجؤون إلى هذه الآية، ويحاولون أن يجدوا فيها دليلاً لهم وإعذاراً، ورخصة وقبولاً لأعمالهم.

«اتقوا الله ما استطعتم»، إنها تأمر المسلم بتقوى الله على قدر استطاعته -كما يقولون- ولهذا يبذل قدر استطاعته في الالتزام بالواجبات وترك المحظورات، وهذا ما طلبه الله تعالى منه، أما إذا ترك بعد ذلك بعض الواجبات فلا شيء عليه ولا حرج ولا إثم، وإذا فعل بعض المحرمات والمحظورات فلا ضير ولا إثم كذلك؛ لأن الآية تعذره، وتقدم له رخصة ومخرجاً.

ويترتب على هذا الفهم الخاطئ لمعنى الآية، أن يتفاوت التزام المسلمين بالإسلام أداءً لواجباته، واجتناباً لمحرماته، بحيث يختلف الالتزام بالإسلام وتطبيقه من شخص إلى آخر حسب استطاعته، فكل منهم يقدم صورة خاصة عملية عن أحكام الإسلام، تختلف عن الصور التي يقدمها الآخرون، ويتحول الإسلام -عملياً- إلى إسلامات، ويتحول تطبيقه إلى عدة تطبيقات، وتضيع مبادئ الإسلام وأحكامه وسط هذه النماذج والعينات، التي يزعم كل منهم أنه هو على الحق، وأن هذا هو الدين الذي يريده الله تعالى، وابحث عن الإسلام الرباني وسط هذه التطبيقات المتفاوتة، التي تعتمد على الهمة الميتة، والقدرة العاجزة، والاستطاعة المريضة.

وحتى يكون فهمنا لمعنى الآية صحيحاً، وتصورنا لقيد الاستطاعة فيها صواباً، لا بد

أن نقرن معها آية أخرى، وهي قول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

تأمرنا هاتان الآيتان بتقوى الله تعالى، وكل واحدة منهما توضح المراد من الأخرى:

فآية «آل عمران» تأمر بأن نتقي الله حق تقاته، ومعنى «حق تقاته": تقوى حقة صادقة مخلصة جادة، بأن نبذل غاية وسعنا، وأقصى استطاعتنا، في تحقيقها وتحصيلها، وأن نبقى على هذه التقوى طيلة حياتنا، بحيث لا يموت الإنسان منا إلا وهو مسلم.

تقوى الله حق تقاته في «آل عمران» معناها بذل الوسع والجهد والاستطاعة في تحصيلها، كما طلبت آية «التغابن».

أما آية «التغابن» فتأمرنا بتقوى الله بمقدار الوسع والاستطاعة: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، ويوضح المراد بقوله: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ قولُه في «آل عمران»: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، فلا يحقق المسلم التقوى بقدر الاستطاعة، إلا إذا كانت هذه التقوى حق التقوى، فكل من الآيتين توضح الثانية وتفسر معناها، وهما متلازمتان متكاملتان، لا بد أن تُقرأا معاً، وتُفهما معاً، وتُؤخذ دلالتهما مجتمعتين؛ حتى يكون المعنى صحيحاً مقبولاً.

ومما يوضح المراد من الآيتين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»[1].

يدل هذا الحديث على موقف المسلم من الأوامر والأحكام الشرعية، فما نُهي عنه يجتنبه؛ لأن الحرام لا يجوز ارتكابه إلا عند الضرورة للمضطر، والضرورة تقدر بقدرها، ويحددها الشرع، وليس الشخص نفسه.

وأما ما أُمر به فإنه ينفذ منه ما يستطيع، والاستطاعة كذلك يحددها الشرع من خلال الرخص الشرعية، وليس الشخص نفسه.

وقد يقول قائل: ها هو الحديث الصحيح يطلب منا أن نتناول الواجبات بقدر

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ص٧٣.

استطاعتنا، وهو ما نقوله نحن في التقوى والتطبيق.

نقول: إنه يجعل تطبيقنا للأوامر بقدر الاستطاعة، لكن من هو الذي يحدد الاستطاعة ومقدارها؟ ومن هو الذي يصدر الرخصة في ترك أو تغيير صورة بعض الواجبات؟

إنه ليس الشخص، ليس هو الذي يحدد مقدار استطاعته، ولا هو الذي يحدد صورة الواجب بالنسبة له، ولكنه الشرع.

إن الله تعالى هو الذي يعلم مقدار الطاقة البشرية وحدود الاستطاعة فيها؛ ولذلك جاءت الرخص في الدين في بعض الحالات ولبعض الأشخاص، مراعاة لبعض الأعذار والأحوال، فالاستطاعة يحددها الشرع، وحالة الاستطاعة يفصّلها الشرع، وصورة الواجب الجديدة يوضحها الشرع.

إن الحديث الصحيح الذي أوردناه، هو الذي يدل على ما قلناه ويوحي به، وبخاصة عند ملاحظة سبب وروده.

فقد روى مسلم والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أيها الناس، قد فُرض عليكم الحج فحجّوا»، فقال رجل: أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، ثم قال: «ذروني ما تركتكم، ولو قلت: نعم، لوجبت، ولما استطعتم، وإنما أهلك من كان قبلكم كثرةُ سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»[1].

إن الحديث في شأن الحج ورد رداً على سؤال لا معنى له لأحدهم: أفي كل عام يا رسول الله؟ فجاء الجواب: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم»، ثم قال: «ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم».

إنها استطاعة بخصوص الحج، الذي نص القرآن على وجوبه على المستطيع: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧).

ويمكن أن نعمّمها على الواجبات الأخرى، التي رخص الشرع فيها لغير المستطيع، مثل إفطار المريض والمسافر، ومثل قصر الصلاة للمسافر، وسقوط الزكاة عن غير القادر،

(١) جامع الأصول، ٣/٣، ٤.

وغير ذلك.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾: يفسرها قوله: ﴿اتَّقُواْ اللَّه حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، و﴿اتَّقُواْ اللَّه حَقَّ تُقَاتِهِ﴾: وضّح معناها سلفنا الصالح.

روى ابن جرير عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ﴿اتَّقُواْ اللَّه حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر.

وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿اتَّقُواْ اللَّه حَقَّ تُقَاتِهِ﴾: لم تُنسخ، ولكن حق تقاته: أن يجاهدوا في الله حق جهاده، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا لله بالقسط، ولو على أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم[1].

ومما تجدر ملاحظته في الآية أنها تركت «التقوى» مبهمة مطلقة: ﴿اتَّقُواْ اللَّه حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، وإبهامها وإطلاقها ليبقى المؤمن مستمراً في تحقيقها والتلبس فيها، وليبقى يتدرّج في منازلها، ويترقّى في مدارجها، ويتنقّل في آفاقها، وليتمّ التفاوت بين المتقين، بمقدار ما يبذلونه من جهد في تحقيقها والحياة بها، واستمرار التلبس بها.

كذلك يواجهنا تعقيب الآية: ﴿وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، حيث تأمر المسلم ألا يموت إلا وهو مسلم، فكيف يفعل هذا، والموت قادم، يأتيه فجأة بدون سابق إنذار أو وعد أو تهيئة؟! إن معنى هذا أن يبقى متلبساً بحالة التقوى الحقة، ملتزماً بالطاعة والعبادة، متجافياً عن المعاصي، تاركاً للذنوب، لا يخرج عن هذه الحالة الإيمانية العالية لحظة من حياته؛ لأنه يخشى أن يحين أجله في هذه اللحظة، ويفارق دنياه فيها على غير طاعة، فيحبط عمله، ويُختم له بسوء.

اتقوا الله حق تقاته: ليس معناه اتقوه تقوى تليق بجلاله وعظمته سبحانه -فإن هذا مستحيل- ولكن معناها: اتقوه تقوى حقة، صادقة جادة دائمة[2].

(١) الدر المنثور ٢/٢٨٢-٢٨٤.
(٢) المصدر: موقع قصة الإسلام، د. صلاح الخالدي، ٣/١٠/٢٠١٠م.

جهاد وليس مقاومة

كثير من الكتَّاب والمتكلِّمين يُطْلقون على مواجهة الأعداء مصطلح «المقاومة»، فيقولون: فلان يقاوم، وحركة كذا تقاوم، والمقاومة على أرض فلسطين، أو العراق.. ويقصدون من ذلك قيام هؤلاء المقاومين بالوقوف أمام الأعداء، ومواجهتهم، والعمل على تحرير البلاد منهم.

وهذا المصطلح صحيح ولا غبار عليه، ويدلُّ على حركة أصحاب البلاد ضد المحتلين، ولكنْ هناك مصطلح آخر، أفضل وأجمل وأكمل منه، وأدق منه في التعبير عن المضمون؛ إنه مصطلح «الجهاد».

الأَولى أن نقول: الشعب الفلسطيني يجاهد اليهود على أرض فلسطين، وكذلك نقول عن الحركات الجهادية في العراق أو أفغانستان.

استخدام مصطلح الجهاد هو الأولى لأسباب عديدة، من أهمها:

١- إنه مصطلح قرآني، ورد في آيات عديدة، حيث أمر الله المؤمنين به، وحثهم عليه، ولا شك أن المصطلح القرآني هو الأفضل والأكمل والأشمل والأوفى، والأكثر دلالة على المضمون، واستخدام المصطلح القرآني يضفي على المضمون بركة القرآن ونوره وظلاله وأثره وتفاعله.

٢- استخدام مصطلح «الجهاد» يساعد على إيقاظ مشاعر الجهاد في نفوس المؤمنين المجاهدين، وتحريضهم عليه، وحماسهم له، ويضفي على الحركة الجهادية الأبعاد الإيمانية التربوية، ويوجِّه قلوب المجاهدين إلى الله، ويربطهم بالإخلاص له، ويعلو بأبصارهم إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وهذا ضروري للمجاهدين.

٣- مصطلح الجهاد يؤذي الأعداء، ويزيد في إعلان الحرب النفسية عليهم، وإضعاف هممهم وعزائمهم، وإحباطهم وحسرتهم.. إنهم يكرهون مصطلح الجهاد، ويتوترون عند سماعه، فضلاً عن استخدامه عند المجاهدين، وهو يسبِّب لهم مرضاً نفسياً اسمه

«جهاد فوبيا"؛ ولذلك يستخدمون كل وسائلهم وضغوطهم لإماتة هذا المصطلح في قلوب المجاهدين، وإبعاده عن تفكيرهم ومشاعرهم.

يجب علينا أن نحرص على إسماع اليهود والأمريكيين ما يكرهون، وأن نختار الكلمات التي تؤذيهم أكثر من غيرها، ولا سيما إذا كانت كلمات إسلامية قرآنية، ولا يجوز لنا أن نراعي مشاعرهم؛ لأنهم لم يراعوا مشاعرنا، ولا يجوز لنا أن نرضيهم؛ لأنهم لم يرضونا، لقد استخدموا كل شيء ضدنا، فكيف نواجه عدوانهم وأذاهم بالاستسلام أو الرقة أو العاطفية؟!

إنه جهاد وليس مجرد مقاومة، وإنه احتساب واستشهاد وليس مجرد مواجهة!

بـــرئ الإســـــلام مـــن شـــــاكٍّ مـهـين

لا يـــراه غـيـر صـــوم أو صـــلاة

ذروة الـديـن جـهـاد فـي الـصـمـيـم

فـلـنـجـاهـد أو لـتـلـفـظـنـا الـحـيـــاة[1]

(١) المصدر: موقع صحيفة السبيل، د. صلاح الخالدي، ٢٠١٠/٩/١٦م.

بين التوراة كتاب الله والتوراة اليهودية المحرفة

الإيمـان بكتـب اللّه تعالـى التي أنزلها على رسـله ركن من أركان الإيمان السـتة، ولا يتحقق هذا الإيمان إلا بالإيمان بالكتب؛ حيث يؤمن كل مؤمن من المسـلمين أن اللّه تعالى أنزل كتباً على رسله، وجعل هذه الكتب نوراً وهدى للناس.

ويجـب علـى المؤمن أن يؤمن بالكتـب التي ذكرها اللّه تعالى في القـرآن، وأخبرنا أنه أنزلها على رسله، وهذا إيمان تفصيلي بالكتب.

كما يجب على المؤمن أن يؤمن أن اللّه سبحانه أنزل التوراة على موسى، وأنزل الزبور على داود، وأنزل الإنجيل على عيسى، وأنزل القرآن على محمد (عليهم الصلاة والسلام).

هما توراتان اثنتان:

من أنكر نزول التوراة على موسى عليه السلام فهو كافر في حكم الإسلام، مخلّد في نار جهنم، ومن أنكر نزول الزبور على داود عليه السلام فهو كافر، ومن أنكر نزول الإنجيل على عيسى عليه السلام فهو كافر.

لكن أي توراة تلك التي نؤمن بها؟ وأي زبور وإنجيل نؤمن بهما؟

إنهـا ليسـت التوراة الموجودة الآن بـين أيدي اليهود، التي أدخلوها ضمن ما يسـمونه «العهـد القـديم»! وليس هو الزبور الذي جعله اليهود أحد أسـفار العهد القديم، وسـموه «مزامير داود»! وليس هو الإنجيل الموجود بين أيدي النصارى الآن، الذي يسمونه «العهد الجديد»! وهو أربعة أناجيل منسوبة لـ «لوقا، وبطرس، ومتى، ويوحنا».

إذن؛ همـا توراتـان وزبوران وإنجيلان! يجـب أن نؤمن بأحدهما أنـه كتاب اللّه، ومن أنكر ذلك فقد كفر، بينما يجب أن نؤمن أن الثاني الموجود الآن ليس كتاب اللّه، وإنما هو محرف مبدل، وهو من ثَم منسوخ مُلغى، ومن أنكر ذلك فقد كفر!

ولنفصل القول قليلاً في هذه المسألة المهمة.

إنزال التوراة على موسى:

أنزل الله تعالى التوراة على موسى عليه السلام ألواحاً نازلة من السماء، وذلك عندما خرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل من مصر، وبعدما أغرق الله فرعون وجنوده؛ فلما كان موسى مع بني إسرائيل في سيناء واعده الله تعالى أن يأتي إلى جبل الطور، ففادر موسى بني إسرائيل، واستخلف عليهم أخاه هارون عليه السلام؛ لأنه سيغيب عنهم أربعين يوماً، وبعد انقضاء الأربعين يوماً كلّم الله تعالى موسى على جبل الطور تكليماً، وأنزل عليه التوراة مكتوبة على الألواح، وأمره أن يأخذها إلى قومه بني إسرائيل؛ ليلتزموا بها، وينفذوا ما فيها.

قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الأعراف).

والتوراة الربانية التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام نور وهدى وضياء ورحمة، وفرقان وحق؛ لأنها كتاب الله وشرعه وكلامه وحكمه.

من صفات التوراة في آيات القرآن:

وقد أثنت آيات القرآن على التوراة أحسن الثناء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء).

التوراة في هاتين الآيتين موصوفة بأنها فرقان وضياء وذكر للعالمين، وهي هكذا لأنها كلام الله عز وجل، وكل كلام الله النازل في كتبه على رسله هو ضياء وذكر للعالمين، سواء كان توراة أو زبوراً أو إنجيلاً أو قرآناً!

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ (الأنعام: ٩١).

التوراة نور وهدى للناس، والمراد بالناس هنا بنو إسرائيل، وليس الناس جميعاً؛ لأن رسالة موسى عليه السلام خاصة ببني إسرائيل، وليست للعالمين؛ فمن المعلوم أن كل رسول كان يُبعث إلى قومه، ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم هو وحده المبعوث إلى الناس كافة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء﴾ (المائدة: ٤٤).

وأمر الله المؤمنين أن يؤمنوا بهذه التوراة الربانية الصادقة، بهذه الصفات الإيجابية الهادية، ضمن إيمانهم بكتب الله الأخرى التي أنزلها على رسله؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦).

هذه التوراة جعلها الله تشريعاً وهداية لبني إسرائيل، وضمنها مجموعة من الأحكام التشريعية لهم.

وقد أخبرنا الله تعالى في القرآن عن بعض ما حرم الله على بني إسرائيل، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (الأنعام: ١٤٦).

وكما في قوله تعالى خطاباً لليهود: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (البقرة: ٨٤).

هذه هي التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام، نؤمن أنها كتاب من كتب الله سبحانه، كتاب عقيدة وشريعة وأخلاق وتوجيه، كتاب نور وهدى ورحمة وضياء

وفرقان، روح وشفاء، ومن لم يؤمن بذلك فقد نقض ركناً من أركان الإيمان كما قررنا.

الأحبار لم يحملوا التوراة فكانوا كالحمار:

لكن ماذا حصل لهذه التوراة النازلة على موسى عليه السلام؟

كلف الله اليهود؛ أحباراً وشعباً، العمل بالتوراة، والمحافظة عليها، وأوجب عليهم حفظها وعدم تضييعها أو التفريط فيها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ٦٣)، وقال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء﴾ (المائدة: ٤٤).

ومعنى ﴿اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ الله﴾؛ أوجب الله تعالى على الربانيين والأحبار حفظ كتاب الله إليهم التوراة، ونهاهم عن تضييعه والتفريط فيه؛ فالله تعالى أوكل إلى الأحبار حفظ التوراة، ولم يتكفل سبحانه بحفظ التوراة كما تكفل بحفظ القرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

فالله تعالى حكيم في طلبه من الأحبار حفظ التوراة، مع علمه أنهم لن يحفظوها، وأنهم سيضيعونها ويحرفونها؛ وذلك ليقيم عليهم الحجة، ويُحذر المسلمين حتى لا يفعلوا فعلهم، وليس للمسلمين الانحراف الجذري الذي يصيب أحبار اليهود قبل أن يصيب أتباعهم من الشعب!

كلف الله تعالى اليهود حفظ التوراة فضيعوها، وحمّلهم التوراة فلم يحملوها، ولم ينفذوا ما فيها من أحكام وتشريعات؛ ولذلك شبههم الله بالحمار الذي يحمل على ظهره أسفار الكتب، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة: ٥).

الأحبار يحرفون التوراة:

لــو طبــق أحبار اليهود ما في التــوراة، وقاموا بالتكاليف والواجبــات التي فيها لكانوا علمــاء ربانيين صالحين؛ ولكنهم بانحرافهم عنها صــاروا «حميراً» يحملونها بدون انتفاع بها، كما تحمل الحمير أسفار الكتب على ظهرها، مع عدم انتفاعهم بها!

ولــم يكتف الأحبار بتضييع التوراة، وهذا بحد ذاته جريمة عظمى، وإنما أقدموا على جريمة أعظم وأبشــع، وهي «تحريف» التوراة، وإحداث التغيير والتبديل فيها، ومزج كلام الله الذي فيها بكلامهم هم!

الأحبــار إذن حرفوا التوراة، وكتبوها بأيديهــم، وأدخلوا فيها كلامهم، وزعموا أن هذا الكتاب الجديد هو كتاب الله، وأن هذا الكلام المختلط الممزوج هو كله كلام الله! وأسموا هذا الخليط «العهد القديم»، وزعموا أنه هو «الكتاب المقدس» الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام وغيره من أنبيائهم!

آيات صريحة في تحريف اليهود للتوراة:

وقد أخبرنا الله في آيات القرآن عن تحريف اليهود للتوراة، وذمهم ووبخهم وأوقع بهم غضبه ولعنته، وأعلن كفرهم وخلودهم في نار جهنم.

ومــن الآيات الصريحة التي تقرر ذلك قوله تعالــى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَــلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧٥)، ومنهــا قوله تعالى: ﴿فَوَيْــلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِــمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَــذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْــتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيــلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقــرة: ٧٩)، ومنها قوله تعالى: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَــادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَــمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْــمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ﴾ (النساء: ٤٦)، ومنها قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُــواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾ (المائدة: ١٣)، ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُــولُ لاَ يَحْزُنــكَ الَّذِينَ يُسَــارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُــواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَــمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِــنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَــمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَــمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُــوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْــدِ مَوَاضِعِــهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَــذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْــذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ

فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً﴾ (المائدة: ٤١)، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٨).

هذه ست آيات صريحة من القرآن تقرر تحريف اليهود للتوراة؛ وهذا معناه أن التوراة الموجودة بين أيدي اليهود محرفة أصابها الكثير من التغيير والتبديل والتزوير، وهي المسماة الآن بأسفار العهد القديم من الكتاب المقدس.

التوفيق بين إيماننا بالتوراة الربانية وكفرنا بالتوراة المحرفة،

وهذا معناه أن «العهد القديم» الذي يؤمن به اليهود، ويزعمون أنه كلام الله، ليس هو كلام الله، وليس هو التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام، وإنما هو بعض كلام الله النازل على موسى وغيره من أنبياء بني إسرائيل عليهم الصلاة والسلام، وأضاف أحبار اليهود إلى هذا البعض الكثير من كلامهم وآرائهم ومزاعمهم وأكاذيبهم وافتراءاتهم وأساطيرهم، وقالوا: هذا من كتاب الله إلينا، وما هو من كتاب الله إليهم؛ وقالوا: هذا كله من عند الله، وما هو من عند الله.

والخلاصة:

أنه كما يجب علينا أن نؤمن أن التوراة هي كتاب الله تعالى النازل على موسى عليه السلام، فإنه يجب أن نؤمن أن اليهود أضاعوا هذه التوراة، وأقدموا على تحريفها وتبديلها، ومن ثَمّ نسخَها الله تعالى، ويجب أن نؤمن أن التوراة الموجودة الآن بين أيدي اليهود محرفة مبدلة، وليست كلام الله، ولا كتاب الله، وأنها مليئة بالأكاذيب والأباطيل، وأنه لا يجوز الإيمان بها؛ لأن البديل عنها هو القرآن الكريم، الصحيح الثابت المحفوظ، الباقي حتى قيام الساعة[1].

(١) المصدر: موقع مجلة البيان، د. صلاح الخالدي، ٢٠١٠/٧/١١م.

"الهولوكوست» في مناهجنا!

يتفـنن اليهود في السـيطرة على الآخرين، وغزوهم فكريـاً وثقافياً وتعليمياً، والتحكم في آرائهم وأفكارهم، وتحويلهم إلى مؤيدين لهم، وخاضعين لأكاذيبهم، وينجح اليهود في هذه المهمة الشـيطانية نجاحاً كبيراً؛ بسـبب غباء الآخرين الغويم، وتمكن اليهود من زرع عملائهـم الفكريين والثقافيين والإعلاميين والسياسـيين والرسـميين والماليين والفنيين، بحيـث يحوّل اليهود هؤلاء العملاء إلى جنودٍ لهم، ينشـطون فـي تطبيع كل الغويم ليكون عبيداً تابعين لليهود، وكل من ألقى نظرة إيمانية نافذة بصيرة على أحوال العالم المعاصر، وتحكم اليهود فيه، يدرك هذه الحقيقة.

ومن أوضح الأمثلة والشواهد على ذلك ما يسمى بـ «الهولوكوست»!

«الهولوكوسـت» مصطلـح خبيث، نجح اليهـود في تحويله إلى عقيـدة، يجب على كل إنسان في كل مكان بالعالم الإيمان بها، والدعوة إليها، ويا ويل من ينكرها أو يشكك فيها!

ومعنى هذه العقيدة اليهودية: مذابح اليهود في سجون النازية في أيام الحرب العالمية الثانيـة، حيث زعمـوا أن هتلر ونظامه أعدموا وحرقوا في أفران الغاز في ألمانيا وغيرها أكثر من ٥ ملايين يهودي!

وكان اليهود يبتزون ألمانيا، ويدعونها إلى دفع ثمن جرائم النازيين، وتعويض اليهود عن ضحايا «الهولوكوسـت»، وأخذوا من ألمانيا وباقي دول أوروبا مليارات المليارات، وما زالوا يبتزون ويحلبون الأوروبيين!

وإذا حاول بعض المفكرين الغربيين التشـكيك في مبالغات اليهود في «الهولوكوسـت» فإنه مجرم عدو للسامية، ولا بد أن يحاكم ويحكم عليه بالعقوبة، كما حصل مع جارودي.

وتوجّـه الشـياطين اليهود إلى «اليونسـكو» -المنظمـة الثقافية الدوليـة التابعة للأمم المتحـدة- مسـتغلين الأغبياء الغويم، واسـتصدروا منها قراراً دولياً، يلـزم كل دول العالم -ومنهـا دول عالمنا العربي والإسـلامي- اعتبار «الهولوكوسـت» مأسـاة عالمية، وأوجبت

اليونسكو على كل دول العالم تعريف شعوبها بـ «تاريخ معاناة اليهود في المحرقة النازية»! بمختلف وسائل التعريف والتوجيه والتعليم، في المناهج الدراسية والمؤسسات الإعلامية والألوان الثقافية، ويجب على كل المرافق والمراكز والمؤسسات في كل دولة في العالم أن تجعل هذا التعريف بالمعاناة اليهودية في مقدمة أولوياتها، وأن تقنع شعبها بها؛ ليجعلها عقيدة لها.

وبما أن مقر اليونسكو في فرنسا، فلا بد أن يكون الانطلاق من باريس؛ ولذلك يتبنى قرار اليونسكو اليهودي الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك، ودعا زعماء كثيرون في مختلف دول العالم لوضع خطة لنشر قرار اليونسكو، وكان من هؤلاء الزعماء مسؤولون وقادة فكر ورأي في العالم العربي، ومنهم أناس من عندنا، من الأردن!

واعتمدت اللجنة المنفذة لقرار اليونسكو عدة عواصم عربية وعالمية، لتكون ميداناً واسعاً لتنفيذ هذا القرار، وكانت عاصمتنا عمَّان في مقدمة هذه العواصم، حيث ستعقد فيها ندوات ومحاضرات ونشاطات ثقافية باسم اليونسكو، تدعو شعبنا الأردني للإيمان بـ «الهولوكوست»، ومشاركة اليهود آلامهم ومعاناتهم، والحزن من أجلهم!

ووضعت اليونسكو مواقع إلكترونية، بـ ٥ من لغات العالم، في مقدمتها العربية؛ لغسل عقول العرب ودفعهم للإيمان بهذه العقيدة اليهودية!

والعجيب أن الشياطين اليهود أطلقوا على حملة التطبيع الثقافي هذه اسماً عربياً، حيث سموها «مشروع علاء الدين».

وأخذوا هذا الاسم من الثقافة العربية الشعبية، التي تحدثت عن أسطورة «مصباح علاء الدين السحري»، الذي إذا فتحه الطفل بطريقة خاصة خرج منه مارد ضخم مطيع له يقول له: «شبيك لبيك، عبدك بين يديك»!

وهدف الشياطين اليهود أن يجعلوا أنفسهم أصحاب مصباح علاء الدين، وسوف يستعبدون الشعوب العربية والإسلامية، ويقف كل واحد منها لليهودي قائلاً له: «شبيك لبيك أنا عبدك بين يديك»!

الخطة اليهودية الشيطانية خطيرة تحرص على استغلال مؤسسات الأمم المتحدة، ومنها اليونسكو، وتوظيفها لإخضاع العرب والمسلمين في المقام الأول، والتطبيع الثقافي

والفكري معهم.

ولا يملك المسؤولون في بلاد العرب والمسلمين إلا تنفيذ «مشروع علاء الدين»؛ بحجة تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ومؤسساتها، وتحويل المحرقة اليهودية إلى مقدمة اهتماماتها وأعمالها ومخططاتها.

ستدخل «الهولوكوست» إلى مناهج التربية والتعليم في المدارس والكليات والجامعات، وفي مراكز التوجيه والتفكير والتخطيط، وفي الأعمال العلمية والأدبية والثقافية، في الندوات والمحاضرات والصحف والمجلات والقصص والأفلام والروايات، وسيدخل التطبيع الثقافي اليهودي إلى كل مؤسسة ومركز ومدرسة وجامعة، بل إلى كل بيت ومنزل.. و«دقي يا مزيكة»!

هذا كله والهولوكوست خرافة وأسطورة وأكذوبة يهودية، فكيف لو كانت حقيقة؟!

أما جرائم اليهود الحقيقية ومذابحهم ضدنا في دير ياسين في فلسطين وبحر البقر في مصر، وصبرا وشاتيلا وقانا في لبنان، وغيرها فيجب أن تُخفى.. أما «هولوكوست» أهل غزة، وآلاف الشهداء والجرحى في حرب غزة، وجرائم اليهود ضد أهلنا في غزة فلا يذكرها أحد، وإذا استيقظ ضمير قاضٍ يهودي في تقرير «جولدستون» وحاول إدانة اليهود، أمر اليهود زعماء عرباً بسحب ذلك التقرير[1]!

(١) المصدر: موقع صحيفة السبيل، د. صلاح الخالدي، ٢٠١٠/٧/١١م.

«دارفور» قلعة القرآن

«دارفور» اسم منطقة واقعة غرب السودان، احتل مركز الصدارة في وسائل الإعلام المختلفة منذ ثلاث سنوات، وحتى الآن، ويشهد في هذه الأيام حركة مستمرة على مختلف المجالات، فما هي دارفور؟ وما موقعها الجغرافي ومركزها التاريخي؟ وما دورها الإستراتيجي المستقبلي؟ وما سر هذا الاهتمام الأمريكي بها؟ نحب أن نقدم للقراء هذه المعلومات.

«دارفور» إقليم واسع، يقع غرب السودان، على الحدود مع تشاد وليبيا وجمهورية أفريقيا الوسطى، ومساحة دارفور حوالي نصف مليون كيلو متر مربع، بحجم مساحة فرنسا، وعدد سكانها حوالي ستة ملايين نسمة، وفيها مناطق زراعية خصبة، ومرتفعات جبلية عالية أعلاها جبل «مرة»، الذي يزيد ارتفاعه على ثلاثة آلاف متر، وعاصمة دارفور مدينة «الفاشر».

وقد كانت «دارفور» مملكة إسلامية مستقلة لعدة قرون حتى وقت قريب، وقد دخلها الإسلام واستقر فيها منذ القرون الأولى، ولها تاريخ إسلامي راسخ، وحكمها سلاطين وملوك مسلمون، من أشهرهم «السلطان علي» الذي أدى مناسك الحج في القرن التاسع عشر، وكان سلطاناً غنياً قوياً، ولما مر بأرض الميقات، التي كانت تسمى «الجحفة» قام بتعميرها وإصلاحها، وحفر الآبار وقام بتوفير المياه فيها خدمة للحجاج والمعتمرين، وسميت المنطقة باسمه «آبار علي»، التي نحرم منها عندما نخرج من المدينة.

وكانت سلطنة «دارفور» الإسلامية قوية وغنية، بحيث كانت تصنع فيها «كسوة الكعبة» زمن السلطان «علي» وبعده.

وضمت دارفور إلى السودان في الربع الأول من القرن العشرين لما استعمر الإنجليز دارفور (أرض فور)، ومعظم أفراد سكانها ينتمون إلى قبيلة «فور» المسلمة، ومن «دارفور» أرض فور، ومعظم أفراد قبيلة «فور» مزارعون يسيطرون على معظم أراضي الإقليم، ويوجد بينهم أفراد من قبيلتي الزغاوة والمساليت، وهؤلاء من الرعاة.

وسكان دارفور كلهم مسلمون، ولا يكاد يوجد بينهم وثني أو نصراني، ومعظم سكان دارفور من أهل القرآن، وحفاظ القرآن فيها كثيرون، وتنتشر فيها مدارس تعليم وتحفيظ القرآن، وتخرِّج دارفور حفَّاظ وعلماء القرآن، الذين ينطلقون إلى مختلف أقاليم السودان، يعلِّمون فيها الناس القرآن.

وذهب كثير من حفاظ القرآن في دارفور إلى أقاليم السودان الجنوبية ينشرون فيها أنوار القرآن بين السكان الجنوبيين؛ ولذلك قلنا: «دارفور قلعة القرآن في السودان».

ولعل سبب الهجمة اليهودية والصليبية الحالية على دارفور حقد اليهود والأمريكيين وطوابير المنصرين على أهل دارفور القرآنيين، وحرصهم على محاربة القرآن فيهم.

ومن أسباب تآمر اليهود والأمريكيين على دارفور وجود ثروات باطنية هائلة في الإقليم، وفي مقدمتها النفط والنحاس، ويكثر فيها «اليورانيوم» المستخدم في الأسلحة النووية!

وقد ازداد عبث اليهود والأمريكيين في دارفور منذ ثلاث سنوات؛ حيث نجحوا في استمالة بعض أبناء الإقليم الذين أنشؤوا عام ٢٠٠٣م «حركة تحرير السودان»، وتصاعدت الاشتباكات خلال ثلاث سنوات أدت إلى مقتل أكثر من نصف مليون[1].

(١) المصدر: موقع النهي، د. صلاح الخالدي، ٢٠١٠/٧/١١م.

مزج الأقصى بأنفاسنا

جميل جداً أن تقام فعاليات ونشاطات مختلفة بشأن القدس والأقصى، وجميل جداً أن يشارك الناس بفعالية في هذه النشاطات، وأن يراها الناس ويتابعوها بمختلف الوسائل. ومشاركة قطاعات كثيرة من الشعوب العربية والإسلامية بهذه النشاطات والفعاليات دليل حضور القدس والأقصى بقوة في أذهان هذه القطاعات، وهذا شيء طيب.

لكن اللافت للنظر أن هذا الحراك الذهني والشعبي يكون مرتبطاً بالأحداث الساخنة التي تجري في القدس، بمعنى أنه عندما يُصعِّد اليهود المجرمون من إجراءاتهم وعدوانهم واحتكاكهم بالقدس وأهلها؛ يكون رد الفعل إقامة هذه النشاطات والفعاليات!

وهذا ما لا نريده، ولا تريده القدس، ولا يريده الأقصى.

لا نريد أن تكون نظرتنا للقدس والأقصى مرهونة بالأحداث التي تجري فيها، ولا نريد أن يكون موقفنا منها رد فعل للأحداث هناك، وعلينا أن نتخلّى عن رد الفعل؛ لأن هذا منطق العاجز أو الضعيف، لن ننصر الأقصى برد الفعل هذا المبني على الأحداث الجارية، يعلو ويهبط معها، وينام بل يموت عند توقف الأحداث!

يجب أن تكون نصرتنا للأقصى من خلال خطة إستراتيجية دائمة، وأن يوضع لها برنامج عملي دائم؛ لأن الأطماع اليهودية في الأقصى ليست حالة طارئة، وإنما هي مخطط إستراتيجي له مراحل وخطوات، وبرنامج زمني طويل، وهو ثمرة قرون وقرون من التخطيط اليهودي الشيطاني، وهم الذين رسّخوا في أذهان أبنائهم شعار «نسيتني يميني إن نسيتك يا أورشليم»!

لن نحبط ونفشل المخططات اليهودية ضد القدس والأقصى وفلسطين بمسيرات ونشاطات واعتصامات موقوتة سريعة فقط، محكومة بأحداث موقوتة، هذه المسيرات والاعتصامات لا بد منها، لكنها ليست كل شيء، إنها نقطة البداية، ولا بد أن تتبعها خطوات.

يجـب أن ينشـأ كيان كل منا على «الأقصـى»، وأن نجعل الأقصى في القلوب والعيون، والأرواح والمشـاعر والأحاسـيس، ويجب أن نربط الأقصى بأنفاسنا، ويدخل إلى كيان كل منا مع كل هواء يدخل، فالهواء الذي نتنفسه يجب أن يكون مخروجاً بالأقصى، فإن خلا منه فسيكون هواءً ملوّثاً!

وإذا مرت على أحدنا ساعة لم يتذكر فيها الأقصى فإنها لن تكون من عمره.

ويجب أن ترتبط كل مؤسساتنا ومرافقنا بالأقصى، وأن تبرمج على التذكر والاستحضار الدائم للأقصى، والتفكير الدائم بنصرة الأقصى، ومواجهة مخططات اليهود ضده..

أنفاسـنا فلتُمزج بالأقصى، ونبضات قلوبنا فلتُربط بالأقصى، ودقائق حياتنا فلتُبرمج على الأقصى، وحديثنا فليكن عن الأقصى، وأُسرُنا وبرامجنا ومناهجنا مع الأقصى!

هـذا كله سـيدفعنا إلى العمل على نصـرة الأقصى وتحريره، ﴿وَالَّذِيـنَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٦٩)[1].

(١) المصدر: موقع جمعية الاتحاد الإسلامي، د. صلاح الخالدي، ٢٠١٠/٧/١١م.

ولا تؤتوا السفهاء أموالكم

جعل الله تعالى المال قياماً للأمة، وقواماً لحياتها، ووهبها من الموارد ما وهبها، وطالبها أن تنفق المال بحكمة، وأن تستهلك الموارد بدقة وتخطيط، وطالبها أن تضع الأموال بأيدٍ أمينة ذكية خبيرة واعية مخطِّطة، تحسن استخراج الموارد وتحصيل الأموال، ونهى الله الأمة عن وضع الأموال بأيدي السفهاء؛ لأنهم سيبذرونها ويضيعونها ويتعاملون معها بغباءٍ وسفه وجهالة وضيق أفق!

وقد وهبَ الله العالمَ الإسلامي الكثير من الموارد والمدخرات، في باطن الأرض وظاهرها، من البترول والمعادن وغيرها، ولو وجدت هذه المدخرات مسؤولين أمناء حكماء لكان العالَم الإسلامي في مقدمة دول العالم اقتصادياً ومالياً وصناعياً!

لكن العالم الإسلامي الغني وُجِه بهجمات اللصوص الغربيين من الإنجليز والألمان والفرنسيين والأمريكيين واليهود والروس والطليان، الذي سرقوا مدخرات الأمة، ونهبوا خيراتها ومواردها، وصاروا أغنياء وحوّلوا المسلمين إلى مديونين فقراء.. وابتُلي العالم الإسلامي -من المحيط إلى المحيط- بحكام وقادة ومسؤولين لصوص سارقين كأسيادهم الغربيين، الذين زرعوهم في بلاد المسلمين، والتفّ حولهم عصابات من اللصوص، وضاعت مدخرات وموارد الأمة بين هذه المجموعات الثلاث من اللصوص السارقين، وتحول ملايين المسلمين إلى فقراء مسحوقين مُعْدَمين!

وابتُلي العالم الإسلامي أيضاً بمسؤولين سفهاء، ومتنفذين أغبياء، وقادة جهلاء، لا يُحسنون المحافظة على الأموال، ولا صرفها، ولا نفع الأمة بها، ولا إنشاء المصانع بها، ولا القضاء على الفقر عند الشعوب المسحوقة.

هؤلاء السفهاء الأغبياء في سوء إنفاقهم الأموال مَثَلهم كمثل طفلٍ غبي ساذج، عمره ٥ سنوات، أعطاه والده ٥ دنانير، فاشترى بها كلها «بوظة» ليأكلها!

ولنأخذ «دبي» نموذجاً حياً لآثار تحكّم السفهاء الأغبياء في الأموال؛ مما يؤدي إلى

تبذيرهـا وتضييعها! وقد علمنا ما جـرى في «دبي» من زلزال مالي واقتصادي مدمر، لم ندرك مدى خطورته وأخطاره من الآن.. وإن تحكّم السـفهاء هناك في الأموال وتبذيرها يحقـق انطبـاق الآية عليهـم: ﴿وَلاَ تُؤْتُواْ السُّـفَهَاء أَمْوَالَكُـمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُـمْ قِيَاماً﴾ (النساء: ٥).

«دبـي» إمارة خليجية صحراوية، تزيد درجة الحرارة فيها عن ٥٠ درجة، وتكبّرت تلك الإمارة، ورأت نفسها دولة اقتصادية عظمى، فاقترضت المليارات بالربا، وأعدّت مشاريع عملاقـة جبارة، لكنهـا تبذيرية تافهة ضائعة، حمّلت دبي ديناً مقـداره ١٠٠ مليار دولار؛ مشاريع إسكان «جميرا» تكلفتها ٩٥ مليار دولار، مدينة دبي لاند تكلفتها ٦٥ مليار دولار، مطار آل مكتوم تكلفته ٣٣ مليار دولار، برج دبي الأعلى في العالم تكلفته ٢٠ مليار دولار.. وهذا كله تبذير وسَفَه.

وصدق الله القائل: ﴿وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾[1].

(١) المصدر: موقع جمعية الاتحاد الإسلامي، د. صلاح الخالدي، ٢٠١٠/٧/١١م.

يتلونه حق تلاوته

أثنى الله على موقف المؤمنين من القرآن، وعلى حسن تلاوتهم له فقال: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة: ١٢١).

وإن هذه الجملة القرآنية المعجزة الموجزة ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ لتُرسي قاعدة منهجية في كيفية التعامل الحيّ مع القرآن. إنّ فعل «تلا، يتلو» له معنيان:

الأول: القراءة، تقول: فلان يتلو الكتاب، أي يقرأ ما فيه.

الثاني: الاتّباع، تقول: جاء فلان يتلو فلاناً، أي جاء بعده متّبعاً له.

وهذان المعنيان واردان في آيات القرآن، فمن ورود التلاوة في القرآن بمعنى القراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ (فاطر: ٢٩)؛ أي: هؤلاء المؤمنون يقرؤون كتاب الله تعالى.

ومن ورود التلاوة في القرآن بمعنى الاتباع، قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ (الشمس)، فالقمر يتلو الشمس، أي يتبعها ويأتي بعدها.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾ (هود: ١٧).

وهذان المعنيان: القراءة والاتباع، واردان مقصودان في هذه الجملة القرآنية المعجزة: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾، ويشيران إلى أن صلة كل منّا بالقرآن لا بد أن تكون على مرحلتين؛ الأولى: نحقق فيها المعنى الأول للتلاوة وهو القراءة، فنحسن قراءة آيات القرآن، ونتقن أحكام ترتيل القرآن، وننفذ قول الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل: ٤)، والثانية: نحقق فيها المعنى الثاني للتلاوة؛ وهو الاتباع، فنحسن اتّباعنا للقرآن، من خلال صدق التزامنا به، وتدبرنا له، وتنفيذنا لأحكامه.

والمرحلة الأولى يجب أن تقودنا إلى المرحلة الثانية، فمن حقق المرحلتين فهو رجل قرآني حقاً، وهو قد تلا القرآن حقّ تلاوته، أما من اكتفى بالمرحلة الأولى وأهمل المرحلة الثانية فهو آثم معذّب عند الله تعالى، والقرآن حجة وشاهد عليه يوم القيامة، ولا ينفعه تلاوته لآياته وأحكامه وإتقانه لقراءتها؛ لأنه أهمل تطبيقها والتزامها.

لا يجوز أن نهمل المرحلة الأولى من التلاوة، فيجب أن نحسن قراءة آيات القرآن، وأن نتقن أحكام الترتيل، لكن لا يجوز أن نكتفي بهذه المرحلة وأن نتوقف عند القراءة.

والمشكلة أن بعض المسلمين يكتفي بتلاوة وقراءة آيات القرآن، فيحرص على إتقان أحكام الترتيل وتجويد الصوت، ولا يتسامح في حركة من حركات الترتيل، أو مخرج من مخارج الحروف، ولكنك عندما تنظر في اتّباعه للآيات التي أحسن قراءتها، فلا تكاد ترى من ذلك الاتباع شيئاً.

يجب أن نتلو القرآن حق تلاوته، وأن توجد في حياتنا عملياً هذه الجملة المعجزة الموجزة ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾.

إن حق التلاوة يعني أن نقرأ آيات القرآن حق القراءة، ثم أن نتبع أحكام القرآن حق الاتباع، وأن ننفذها حق التنفيذ، وأن نلتزم بها حق الالتزام.

وهذا المعنى هو الذي فهمه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾: يتبعونه حق اتباعه، فيحلّون حلاله ويحرّمون حرامه، ولا يحرّفونه عن مواضعه، وقال قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما: معنى ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ يتبعونه حق اتباعه، ألم تر إلى قول الله: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ (الشمس: ٢)؛ أي: إذا اتبع القمر الشمس.

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: والذي نفسي بيده، إن حق تلاوته أن يحلّ حلاله ويحرّم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله تعالى، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، وقدَّم لنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه نصيحة عظيمة في حسن اتباعنا للقرآن، فقال: اجعل القرآن أمامك ولا تجعله خلفك، فإن جعلته أمامك؛ قادك حتى يدخلك الجنة، وإن جعلته خلفك؛ دفعك دفعاً في نار جهنم[1].

(١) المصدر: موقع جمعية الاتحاد الإسلامي، د. صلاح الخالدي، ٢٠١٠/١٢/٢٧م.

حوار صحفي مع د. صلاح الخالدي[1]

أجـرت مجلة «الفرقـان» التي تصدرها جمعية المحافظة علـى القرآن الكريم بالأردن لقـاء علميـاً مع د. صلاح الخالدي، أسـتاذ التفسـير وعلـوم القرآن بكليـة أصول الدين بجامعـة البلقـاء التطبيقية، وذلك في العدد الثالث والأربعـين (رجب ١٤٢٦هـ) وهذا هو نص اللقاء.

د. صلاح عبدالفتاح الخالدي، اسم عرفه طلبة العلم ومحبو القرآن وتفسيره، وتابعوا بشغف دروسه ومحاضراته في المساجد، وفي جامعة البلقاء التطبيقية والجامعة الأردنية وكلية العلوم الإسلامية وجمعيات تحفيظ القرآن، وقرؤوا كتبه التي وصل عددها إلى نيف وأربعين كتاباً.

وقد قُدّرَ لي أن أتتلمذ على يديه، فرأيت عالماً عاملاً بكتاب الله تعالى، تالياً له، صافي المنهج في الولاء والبراء، موالياً لأولياء الله، معادياً لأعدائه، لا تأخذه في الله لومةُ لائم، قوَّالاً بالحق، أخَّاذاً من الكتاب والسُّـنة، ذاق نعمة الحياة في ظلال القرآن، فسـخر وقته وقلمه في تعريف الناس بها.

وانطلاقاً من رسـالة المجلة في تعريف قرائهـا بعلماء القرآن، الذين هم أعلام الهدى ومصابيح الدجى، كان لقاؤنا مع شـيخنا أبي أسـامة في بيته في منطقة صويلح بعمان، لنغترف شيئاً من بحر علمه، ونقتبس شعاعاً من نور كلامه، وكان هذا الحوار.

● بدايـة، فضيلة الدكتـور، نرجو منكم التكـرم وإعطاءنا تعريفـاً موجزاً بكم؛ نشأتكم، وحياتكم العلمية، ومسيرتكم مع كتاب الله عز وجل.

– الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فقد ولدت في مدينة جنين في ١٨ المحرم ١٣٦٧هـ/ ١ ديسمبر ١٩٤٧م، ودرست فـي جنـين بالمـدارس الحكومية حتى الصف الثانـي الإعدادي، ثم توجهت إلى الدراسـة

(١) مجلة الفرقان الأردنية، العدد الثالث والأربعون (رجب ١٤٢٦هـ/ أغسطس ٢٠٠٥م)، حاوره: زهير ريالات.

الشـرعية، فانتقلت إلى نابلس للدراسـة في المدرسـة الإسلامية، ودرسـت فيها سنتين؛ الثالث الإعدادي والأول الثانوي، وهذه المدرسـة كانت مرتبطة مع الأزهر، فكان الطلاب الأوائل يذهبون في بعثة للدراسة في الأزهر، وقد يسر الله لي الحصول على هذه البعثة.

سـافرت إلـى القاهرة عام ١٩٦٥م، وهنـاك أخذت الثانوية الأزهريـة، ثم دخلت كلية الشـريعة وتخرجـت فيها عـام ١٩٧٠م، وعدت إلـى الأردن لأن الضفـة الغربية كانت قد احتلت عام ١٩٦٧م، ومن أبرز مشايخي في هذه المرحلة الشيخ موسى السيد رحمه الله، أحد علماء فلسطين، وقد كان عالماً عاملاً ربانيّاً وخرَّج من العلماء الكثير.

أمـا مصـر، فقد سـافرت إليها في عز المحنـة، وكان هناك حرب علـى العلماء وكثير منهم في السجون، ومنهم في تلك الفترة الشيخ محمد الغزالي، وسيد سابق، وعبدالحليم محمود، حيث كان لهؤلاء جهود دعوية في تلك الفترة خاصة الشيخ محمد الغزالي، وكنا نحضر محاضراته في مختلف مناطق القاهرة.

ثم سجلت لدراسة الماجستير عام ١٩٧٧م في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وكانت الرسـالة التي قدمتها بعنوان «سـيد قطب والتصوير الفني في القرآن»، وجاءت في قسمين؛ الأول: عن حياة سيد قطب، والثاني: عن التصوير الفني في القرآن، وتمت المناقشـة عام ١٩٨٠م، وتألفت اللجنة من أ.د. أحمد حسـن فرحات مشـرفاً، وأ. محمد قطب مناقشاً، والشيخ محمد الراوي، العالم المصري المعروف، مناقشاً.

وكانـت قاعـة المناقشـة ممتلئة بالحضور، وجـاء عدد كبير منهم جاء ليسـمع كلام أ. محمد قطب، الذي أخجلني وهو يثني على الرسـالة والجهد المبذول فيها، حتى إنه قال: لو تقدم الطالب بالقسم الأول من الرسالة فقط لاستحق الماجستير عن جدارة! وهذا من فضل الله عليَّ، وأسأله القبول سبحانه.

ثـم حصلت على درجة الدكتوراه في التفسـير وعلوم القرآن عام ١٩٨٤م من الجامعة نفسـها، وكانت الرسـالة بعنوان «في ظلال القرآن- دراسة وتقويم»، وأشرف عليها أيضاً أ.د. أحمد حسن فرحات، وناقشني عالمان مشهوران هما الشيخ مناع القطان، رحمه الله، وأ.د. عدنان زرزور، العالم القرآني المعروف.

● كم مرة قرأت «الظلال» خلال إعدادك لرسالتي الماجستير والدكتوراه؟

– خلال فترة الماجستير قرأته مرتين، وفي الدكتوراه ٥ مرات، فمجموع قراءاتي للظلال من أجل الشهادة الأكاديمية ٧ مرات، وكانت قراءة حرفية كاملة والحمد لله.

أما العلماء الذين درَّسوني أو التقيت بهم في السعودية، فأذكر منهم الشيخ عبدالله الغديان، عضو هيئة كبار العلماء، الذي درّسنا علوم القرآن، ودرّسنا التفسير د. مصطفى مسلم، وهو من العلماء السوريين المعروفين، وغيرهما، وقابلت أيضاً عدداً من كبار العلماء، منهم: السيد أحمد صقر، والأديب السعودي المعروف أحمد عبدالغفور العطار، وقابلت محمد قطب في مكة لإعداد المادة حول سيد قطب وحياته.

هذا بالنسبة لدراستي وطلبي للعلم، أما الوظائف التي عملت بها، فبعد تخرجي في الأزهر عينت بوظيفة واعظ بوزارة الأوقاف في الأردن، وكان تعييني في مدينة الطفيلة، وفي عام ١٩٧٤م انتقلت إلى مدينة السلط حيث عملت مراقباً للتوجيه الإسلامي (مساعد مدير أوقاف).

وفي عام ١٩٨٠م، بعد حصولي على الماجستير، عُيِّنت في كلية العلوم الإسلامية في عمَّان، وبقيت فيها حتى عام ١٩٩١م، وكنت عميداً لها في آخر سنتين، بعدها أصبحت مدرساً في كلية أصول الدين جامعة البلقاء التطبيقية، وما زلت أعمل فيها إلى الآن، وخلال هذه الفترة من عام ١٩٨١ – ١٩٩٤م عملت خطيباً وإماماً في مسجد عبدالرحمن بن عوف في منطقة صويلح بعمَّان.

● عدِّد مؤلفاتك وأقربها إلى قلبك.

– أحمده سبحانه أن منَّ عليَّ بالكتابة والتأليف، عدد المطبوع من مؤلفاتي بلغ ٤٤ كتاباً، أولها طبع عام ١٩٨١م بعنوان «سيد قطب الشهيد الحي»، أما أقربها إلى قلبي فكما يقولون: «كلهم أولادي»، لكن هناك سلسلة قرآنية سمَّيتها «من كنوز القرآن»، خرج منها ١٠ حلقات، منها: «مفاتيح للتعامل مع القرآن»، «في ظلال الإيمان»، «الشخصية اليهودية من خلال القرآن»، «لطائف قرآنية».. إلخ.

● إذا ذكر اسمكم، فضيلة الشيخ، فوراً نذكر أ. سيد قطب، ما العلاقة التي تربطك به، رحمه الله؟ وما أول كتاب قرأته له؟

– هي علاقة محبة وتلمذة، أما صلة شخصية فلم يكن بيني وبين أ. سيد قطب صلة

شـخصية، لم ألتق معه؛ لأنني عندما سافرت إلى مصر، كان سفري في سبتمبر ١٩٦٥م، وكان سيد قد اعتقل في يوليو من العام نفسه، وبعدها أُعدم، فلم ألتق معه لقاء شخصيّاً، إنمـا تتلمـذت علـى كتبه، قرأتهـا كلها، لما سـافرت للقاهرة كان قد وقع فـي محنة فزاد إعجابـي بالرجـل، فأقبلت على كتبه، رغم أنها كانـت ممنوعة وغير متوفرة في المكتبات، لكن كنا نحصل عليها عن طريق بعض الزملاء والمعارف وبطرق خاصة.

أما أول كتاب قرأته لسـيد فله قصة، كنت في المدرسـة أحب القراءة والمطالعة، وكنت أتردد على مكتبة المدرسـة، فاسـتهواني اسم كتاب بعنوان «مشـاهد القيامة في القرآن»، ومؤلفه سـيد قطب، قبل ذلك لم أكن قد سـمعت عنه، فأعجبني اسـمه «سـيد» «قطب»، وعنوان الكتاب أعجبني، فاستعرت الكتاب من المكتبة وأخذته إلى البيت وقرأته، وأعترف أنني لم أفهم معظم ما فيه، إلا أنها كانت أول مرة أسمع فيها عن سيد وأقرأ له.

● استشهد سيد قطب أثناء إقامتكم في القاهرة، كيف كان شعوركم يوم بلغكم نبأ استشهاده، رحمه الله؟

- حقيقة حزّ في نفوس الجميع استشـهاد سـيد، كان استشـهاده في ٢٩ أغسـطس ١٩٦٦م، فتألمنا جميعاً، وأذكر منظراً لا أنسـاه، فقبل استشـهاده كنا في كافتيريا المدينة الجامعية في الأزهر، وفيها تلفاز، وكنا نجلس نستمع لنشرة أخبار الساعة الثامنة مساءً، وفي النشرة عرضوا صورة سيد قطب عندما خرج من السجن لتنفيذ حكم الإعدام عليه، فسـلَّم على جميع الضبـاط والجنود الموجودين وصافحهم واحـداً واحداً، ولما وقف على باب السجن، صافح الواقفين، وكانت سيارة السجن تنتظره، فركب السيارة والتفت للخلف وحياهم جميعاً، وابتسم ابتسامته الكبيرة التي انتشرت بعد ذلك في الصحف، كان منظراً مؤثراً، وهذا ردّ على من يقول: إن سـيداً كان رجلاً مكتئباً وسـوداويّاً، بالعكس كان وجهه مشـرقاً في الصورة، وكان يسـلم على أعدائه الذين حاربوه وعذّبوه، ومع ذلك كان يسعهم بقلبه الكبير.

وأذكـر أننـي في يوم استشـهاده كنت في البيت ولم أخـرج، كان من الصعب أن يخفي أحدنا حزنه وألمه على ما جرى، لكن رجال البوليس المصري آنذاك كانوا يحاسبون الناس على عواطفهم، ففي اليوم التالي لاستشـهاده، رأيناهم يعتقلون أي رجل ملتزم تبدو عليه

مظاهر الحزن لما حدث! وهذه قمة السوء؛ أن تحارب الناس على عواطفهم.

● جهودكم الدعوية، سواء بالكلمة أو بالقلم أو بالقدوة الحسنة، متعددة، فطلبة العلم يرون ما تقومون به من محاضرات ودروس ودورات، ومصنفاتكم بلغت ٤٤ كتاباً، كما ذكرتم، كيف تجدون الوقت الكافي لهذا؟ وهل لكم برنامج يومي محدد؟ وإذا كان كذلك حبذا لو أخبرتنا بتفاصيل هذا البرنامج.

– أسأل الله القبول، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى، حقيقة الوقت يذهب بسرعة، ولكن ينبغي للإنسان أن يحسن استغلاله ويحسن تنظيمه، والبركة تأتي من الله تعالى، ذكرت في أحد كتبي –وهو «الخطة البراقة لذي النفس التواقة"– كيف ينظم المسلم وقته ويستفيد منه فائدة جيدة، حقيقة أنا عندي حرص والحمد لله على الوقت، وينبغي لأحدنا أن يستعين بالله سبحانه، ويحرص على ألا يضيع شيئاً من وقته فيما لا فائدة فيه، يتقلل من الأمور الاجتماعية والمظاهر التي ليس لها داع مثل الزيارات غير المناسبة، وما يتبقى من الوقت يغتنمه بالاشتغال بالأعمال العلمية، ولا بد للإنسان أن يجمع بين الكتابة والدعوة، بمعنى أن يخصص جزءاً من وقته للكتابة والتأليف، ويخصص جزءاً آخر لتعليم الناس وإرشادهم عن طريق الدروس والمحاضرات وغير ذلك، لأن المغالاة في الكتابة فقط وترك الناس بدون دعوة غير مناسب، وأيضاً الانشغال بالدروس فقط دون كتابة لمن عنده القدرة عليها أيضاً غير مناسب، فالحل هو الموازنة بين الكتابة والدعوة ليكون الإنسان رجل علم في جانب، ورجل دعوة في الجانب الآخر.

أما بالنسبة لبرنامجي اليومي فأحب أن أقول بداية: إنه ثبت من خلال التجربة أن أفضل شيء استغلال وقت ما بعد الفجر، لأن بعض الناس يضيع هذا الوقت في النوم بسبب السهر إلى وقت متأخر من الليل، برنامجي يبدأ بعد الفجر مباشرة، أستيقظ على الأذان الأول، أصلي الفجر في المسجد والحمد لله، وعندي برنامج تفسير القرآن في المسجد؛ مسجد عبدالرحمن بن عوف، الحمد لله عندي كل يوم درس تفسير حوالي ٧ – ٨ دقائق، أتناول فيه تفسير آية بشكل مختصر، بدأت بهذا الدرس قبل ١٦ عاماً بتفسير سورة «الفاتحة»، وأوشكت الآن على إكمال تفسير القرآن كله، حيث وصلت إلى سورة «الغاشية»، لم أتوقف عن هذا الدرس إلا إذا كنت مسافراً أو مريضاً، ولعل هذا

أول مـرة يحصـل في الأردن أن يكمل تفسـير القرآن كله في مسـجد واحد، وهذا بفضل الله سـبحانه، الشـاهد أنه بعد الفجر لا أنام، وأسـتغل هذا الوقت الثمين المبارك، وقت صفاء الذهن، وأنجز فيه أعمالاً جيدة، ثم أستغل الفترة من الشروق حتى الظهر بالكتابة والتأليـف، ثم أذهب إلى الجامعة وغالباً تكـون محاضراتي بين الظهر والعصر، أما فترة ما بعد العصر فتكون للدروس العامة للناس، أما في الليل فأنا لسـت ليليّاً وأحرص على النوم مبكراً، حتى إني في ليالي الصيف أنام بعد العشاء مباشرة.

● صدر لكم كتابان في إعجاز القرآن؛ «البيان في إعجاز القرآن»، «إعجاز القرآن البيانـي ودلائـل مصدره الربانـي»، مـا الإضافة العلميـة التي نجدها فـي الكتاب الثاني؟

- الكتـاب الأول (البيـان) كتـاب أكاديمي أعـد لطلاب كليات المجتمـع بغرض التقدم للامتحان الشامل، وقد ألفته عام ١٩٨٩م عندما كنت مدرساً لمادة إعجاز القرآن في كلية العلـوم الإسـلامية، إذن فالكتاب أعد وفق مخطط خـاص ولهدف معين، بعد ذلك عندما أصبحت مدرسـاً في كلية أصول الدين دعت الحاجة لتأليف كتاب بمسـتوى آخر ولهدف آخر، يليق بمستوى الدراسة الجامعية، وهو يختلف عن الكتاب الأول في المنهاج والخطة، الأول كان كتابـاً تاريخيّاً إلى حد ما؛ تناولت فيه «الإعجاز القرآني ومسـيرته التاريخية»، أمـا الكتـاب الثاني فيركز على التحليلات القرآنية عن المباحـث المختلفة، وهو يقوم على ثلاثـة فصـول؛ الأول مقدمات دراسـة الإعجاز، والثانـي -وهو صلب الكتاب- وسـميته «الإعجـاز البيانـي في القرآن»، تناولت فيه ٢٠ مبحثاً مـن الموضوعات القرآنية: الحذف والذكـر، التقـديم والتأخير، التعريف والتنكير، الترادف، الزيـادة، أما الثالث فيبحث في الأدلة على أن القرآن كلام الله تعالى (دلائل مصدره الرباني)، فالكتاب الثاني أشمل في الحقيقة وأكثر فائدة، وفيه تحليلات قرآنية أجود.

● مـن يقرأ الكتابين يلاحظ أنه فـي الأول تكلمتَ عن القضايا العلمية والأخبار الغيبية الموجودة في القرآن وغيرها على أنها من وجوه الإعجاز، أما في الثاني فقد اعتبرتها فقط دلائل على ربانية مصدر القرآن، لماذا؟

- فـي الكتـاب الأول ذكرتُ أنها من وجوه الإعجاز، وبينت في المقدمة أن هذا من باب

التنازل؛ لأن الكتاب هدفه أكاديمي -كما ذكرنا- وأني لا أرى ذلك، أما الكتاب الثاني فقد كتبته ليكون دراسة منهجية أشمل، ولذلك ذكرت فيه رأيي بدقة وبحرية؛ وهو أن هذه لا أعتبرها من وجوه الإعجاز وإنما هي أدلة على أن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى.

● **ذكرتم في كتابكم الأول (البيان) (ص ٦٥) أن «التحدي بالإتيان بمثل القرآن مستمر، فحيثما يوجد كافر يطعن في مصدر القرآن، فيوجه له التحدي لمعارضته»، أقول: لما كان العرب زمن النبي صلى الله عليه وسلم يمتلكون ناصية اللغة كان التحدي بالإتيان بمثله في الفصاحة والبلاغة، ولكن لمَّا ضعفت الملكة البيانية بعد ذلك، فهل يعقل أن يتحدى الناس جميعاً بالبيان وحده؟! لماذا لا نقول بتعدد وجوه التحدي بتعدد وجوه الإعجاز التي ذكرها بعض العلماء؟**

- هذا يقودنا إلى وجوب الفصل بين المصطلحات ومعرفة ما هو المطلوب في موضوع الإعجاز والتحدي، نحن متفقون على أن الإعجاز قائم على التحدي، ولا إعجاز إلا بعد التحدي، أيضاً عندما تتحدى طرفاً آخر أنت تطلب منه الإتيان بشيء، إذن هي مراحل ثلاث مترابطة وخطوات ثلاث متدرجة: معاجزة أولاً، ثم عَجْز ثانياً، ثم إعجاز ثالثاً، المشكلة أن بعض من يتكلم في الإعجاز لا يحسن التفريق بين هذه الأمور، ولا يقف أمام قوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ (البقرة: ٢٣)، «فَأْتُوا» الأمر لمن؟ وما الهدف؟ وما المراد بالمثلية في الآية؟ في سورة «هود» يقول الله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ (هود: ١٣)، و«مُفْتَرَيَاتٍ» معناها: مكذوبات.

لماذا أتى بكلمة «مُفْتَرَيَاتٍ» صفة لعشر سور؟! هذا يقودنا إلى أن نذكر الخطوات الثلاث؛ أولاً: المعاجزة التي تعني أن هناك معركة بين القرآن وخصومه، لما سمع الكفار القرآن قالوا: هذا ليس كلام الله، بل هو من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم.

كانت دعوى النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن كلام الله، لكنهم كذَّبوه في دعواه، ثم ارتقوا خطوة أعلى في التكذيب فقالوا: ﴿لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا إِنْ هَـذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال: ٣١)، فزعموا القدرة على الإتيان بمثله، لما ادعوا القدرة على الإتيان بمثله ناسب أن يتحداهم الله فوراً فقال: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾.

فالمعاجزة تعني أن القرآن أراد إعجاز المشركين وتعجيزهم، وهم أرادوا تعجيزه، نتيجة

المعاجزة هي أن الكفار لم يستطيعوا الإتيان بمثله؛ فصاروا عاجزين أمام القرآن، والقرآن صار معجزاً.

الآن عندما نقول: لِمَ لا نوسّع موضوع التحدي ونتحدى العالم بالموضوعات الأخرى في القرآن؟! حقيقة هذا كلام خطير جدّاً، أنا أرى أن المثلية المطلوبة في قوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ هي المثلية البيانية، من لا يعرف العربية لا أتحداه، ولكن أخاطبه بالأدلة الأخرى التي سميناها «دلائل مصدره الرباني».

أقول له: أنا عندي في القرآن علم، لكن لا أقول له: هات علماً مثل القرآن، العلم هذا سبق علوم الناس، وهذا دليل على أنه كلام الله، لكن لا أقول هات علماً مثله، أخشى لو قلت له ذلك أن يأتي بعلم مثله، وينجح في التحدي؛ وبالتالي يصبح عندي مشكلة كبيرة، فإذا هو أصر على موضوع التحدي -هذا الذي لا يتكلم العربية- أقول له: تعالَ أعطك دورة لغة عربية، وعندما تتقن العربية كأي عربي أقول لك: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ وعندها سوف يعجز.

إذن لا إعجاز إلا بعد العجز، ولا عجز إلا بعد التحدي، وعندما تتحدى أنت تطلب شيئاً محدداً، ولكن الذين يتكلمون في الإعجاز العلمي والغيبي وغيره غير منتبهين لهذه النقطة.

● هل الخلاف حول هذا المصطلح «الإعجاز العلمي» يمنع من استخدام «الحقائق العلمية الموجودة في القرآن» في الدعوة؟

- بل يجب، الخلاف فقط في تسميتها «إعجازاً»، عصرنا هذا عصر التكنولوجيا والعلم والاختراعات، يجب على كل من تكلم في القرآن أن يكون عنده ثقافة علمية واسعة في مختلف التخصصات، حتى عندما يتكلم في تفسير آية يجب أن يقدم للناس مضامينها العلمية المعاصرة، ويجب أن نخاطب الآخرين بعلومهم، فلا بد من تأليف كتب عديدة في الحقائق العلمية في القرآن وتترجم للغات المختلفة، ونخاطب الغربيين ونقول لهم: أنتم في القرن الحادي والعشرين اكتشفتم هذه المعلومات العلمية بعد تجربة قرون عديدة، وبعد معامل ومختبرات وتجارب، قرآننا ذكر هذا قبل ١٥ قرناً، وقد نزل على إنسان عربي أمي ليس عنده علم بهذه الأمور، فلو كان من تأليفه لما عرف ذلك، فدل

هــذا علــى أنه كلام اللّه عز وجل، إذن عدم القول بالإعجاز العلمي لا يعني إلغاء الحقائق العلميــة فــي القرآن، بل يجب تعلمها وتقديمها للناس باعتبارها أدلة على أن القرآن كلام اللّه تعالى.

● عرفكم طلابكم بأنكم من العلماء الموسوعيين، فرغم بروزكم في علم التفسير، فـإن علو كعبكم في صنوف العلم المختلفة أمـر ظاهر، وهذا لا نجده عند كثير من العلماء، فلماذا أصبحنا، في هذه الأيام، لا نجد عالماً موسوعي الثقافة إلا ما ندر؟

– أولاً: سامحك اللّه، أنا لا أدّعي أنني موسوعي ولا غير موسوعي، لكن أقول: حقيقة يجــب علــى كل من يتعامل مع القرآن أن يتصف بالاطلاع والثقافة العلمية، يعني لا بد أن يأخــذ مــن كل حقل علمي بقبس، هو لن يكــون متخصصاً في كل العلوم؛ فهذا يحتاج إلى وقت وجهد وملكة وغير ذلك، لكن الذي يتعامل مع القرآن ويقدمه للناس كتابة ودروساً.. إلــخ، لا بــد أن يكون عنــده اطّلاعات مختلفــة، لأن القرآن ميادينه مختلفــة، موضوعاته مختلفــة، القــرآن ليس مجرد كتاب أدب أو فقه أو إعجاز، القرآن كتاب موســوعي، وليس هناك حقل من حقول المعرفة إلا تكلم فيه القرآن، فحتى يحســن أحدنا فهم الآيات لا بد أن يكون عنده ثقافة واطلاع على هذه الموضوعات، أما إذا اكتفى في تفسير القرآن بذكر ما قاله السابقون، ففي هذه الحالة لا يكون قد أتى بجديد؛ لأن ما قاله السابقون موجود في تفاسيرهم.

أنا من دعاة توســيع مفهــوم النص القرآني ومضمونه ليســتوعب الثقافات المعاصرة، وتقديمــه للمعاصريــن حتى يــزدادوا إعجاباً بكلام اللّه ســبحانه، فلا بــد أن يكون عنده اطلاع في ذلك، وكما تفضلت نحن مصابون بمرض التخصص العلمي، ويا للأسف بعض الأســاتذة فــي الجامعات لا يجيد حتى تخصصه، هذه عبــارة عن ضحالة علمية، فلا بد للعالــم المســلم أن يكــون عنده ثقافة موســعة؛ أن يتكلم في التاريخ وفــي الفقه وفي اللغة وفــي العقيدة وفي السياســة والاقتصاد والاجتماع وغير ذلك، أينمــا يتكلم يبدع ويجيد، لأن القرآن علَّمه هذا، أما من عنده ضحالة في الفكر فهؤلاء لا يستطيعون فهم كلام اللّه حقّاً.

● نظام التدريس في كليات الشريعة هل له أثر؟

- كليات الشريعة وبرامجها وأنظمتها وخططها لها أثر مباشر من زاويتين؛ زاوية المنهاج نفسه (المادة ووحداتها الدراسية)، وزاوية المدرس نفسه.

فالخطط الدراسية في كليات الشريعة بعد سلسلة التقليص والاختصار التي تقوم بها الجامعات أصبحت عبارة عن قشور بدون لباب، وخاصة الآن مع الضغوط الأمريكية لمراجعة المناهج وتنظيفها من «التطرف» و«الإرهاب» والجهاد وغيره، فالآن هذه الخطط الدراسية أصبحت ممسوخة! والله المستعان، وأصبح طالب العلم لا يستفيد منها شيئاً.

الأمر الثاني: الأساتذة في الجامعات -إلا من رحم الله- أصبحوا عبيداً لما يسمى وحدات المادة، المدرس حريص على ألا يخرج من المنهاج بكلمة واحدة في القاعة، أما أن ينصح الطلاب والطالبات ويرشدهم ويتكلم معهم عن أحداث الساعة فنراه يخشى رهباً ورغباً أن يتكلم في هذه الموضوعات، وأن يوسع آفاق الطلاب؛ فيخرج الطالب ليس عنده شيء.

● ما كتب التفسير التي تنصح بقراءتها؟

- التفاسير كثيرة، ولكنَّ هناك شيئاً اسمه أمهات كتب التفسير، أنا أنصح بالبدء بقراءة الأمهات، وأول هذه التفاسير تفسير «في ظلال القرآن» لسيد قطب، هذا الكتاب لا أعتقد أن مسلماً معاصراً يستغني عنه، سيد، رحمه الله، ربط الناس بالقرآن، وقدم للناس روح القرآن، فلن تفهم طبيعة القرآن حتى تقرأ «الظلال».

● ما الميزة التي يتميز بها «الظلال» عن باقي كتب التفسير؟

- سيد قطب كان عنده مبدأ: ما قاله الناس لا يعيد قوله، إنما كان يضيف إلى ما قاله الناس، فسيد، في تفسيره، لم يقف أمام تحليلات القرآن البيانية واللغوية وغيرها، فهذا موجود في التفاسير السابقة، إنما أضاف معاني جديدة غير موجودة في التفاسير السابقة، فلهذا «الظلال» لا يغني عن غيره ولا يغني عنه غيره، «الظلال» هدفه بيان روح القرآن، كيفية الحياة مع القرآن، كيف يدخل المؤمن عالم القرآن، ويخرج منه صاحب رسالة، يحمل رسالة القرآن ويواجه أعداء الله، هذه المعاني ركز سيد عليها، سيد علمنا كيف نواجه الحرب التي شنها الأعداء على القرآن.

السابقون لم يتكلموا فيها لأنهم كانوا يكتبون لأناس كانوا يعيشون مع القرآن، فكانوا

يقدمون للناس ثقافة تفسيرية، سيد لم يقدم ثقافة تفسيرية، سيد قدم للناس منهجاً تربويّاً حركيّاً مع القرآن، سيد أراد تخريج الشخصية الإسلامية القرآنية، عندما تقرأ «الظلال» تصاغ صياغة قرآنية من جديد؛ فتخرج من «الظلال» وأنت جاهز لكي تستوعب العلم القرآني بشكل دقيق، بعدها أذهب إلى باقي كتب التفسير، وأبدأ من جديد أدرس دراسة ثقافية تفسيرية؛ فعندها تجمع ما بين التربية والحركة في «الظلال»، والعلم التفسيري في التفاسير الأخرى.

ويعجبني كلام د. أحمد حسن فرحات عندما كان يقول: «الظلال» كتب الله له القبول لأنه كتب مرتين؛ مرة بمداد العالم، ومرة بدم الشهيد، فكان العلم نوراً، والشهادة نوراً، وكذلك «الظلال» نور على نور.

نقول: بعد «الظلال» لا بد من قراءة تفسير ابن كثير؛ فتفسيره كان مرجعاً أساسيّاً لسيد وهو يكتب «الظلال»، كان معه في الزنزانة أثناء كتابته له، فالنقص المأثوري في «الظلال» يستدرك من تفسير ابن كثير، فهما مكملان لبعضهما، وأنصح غير المتخصصين بقراءة أحد مختصرات ابن كثير حتى لا يضيع نفسه مع الروايات المتعدد والأسانيد المختلفة الموجودة في ابن كثير، بعد ابن كثير هناك من الأمهات تفسير الطبري، وهو مؤسس علم التفسير، وبعده أنصح بقراءة تفسير بياني وليكن الكشاف للزمخشري على صعوبته، أما التفسير الكلامي العقلي (أو ما يسمى بالتفسير بالرأي المحمود) فلا أجد خيراً من تفسير الرازي «مفاتيح الغيب»، وأيضاً أنصح بتفسير الإمام القرطبي «الجامع لأحكام القرآن»، ولا بد أن يدرك القارئ إعراب القرآن؛ فننصحه بقراءة كتاب «الجدول في إعراب القرآن» لمحمود صافي، رحمه الله، فمن قرأ هذه الكتب يصبح عنده ملكة تفسيرية، ثم فيما بعد يزود مكتبته بالتفاسير الأخرى.

هل تنوون إكمال مشروعكم المبارك الذي يهدف إلى تهذيب كتب التفسير وتنقيحها وترتيبها؟

- الحمد لله تعالى، أخرجت تهذيب تفسير الطبري في ٧ مجلدات، وأنجزت تهذيب تفسير ابن كثير وصُفَّ كاملاً قبل ٥ سنوات، لكن حتى الآن لم تتيسر طباعته لأسباب مادية، ويقع في حوالي ٣٥٠٠ صفحة، والأحاديث مخرجة، وقد اشتمل على ٣٠٠٠ حديث

مرفوع صحيح، والآن ننتظر من يموله من أهل الخير حتى ينشر إن شاء الله تعالى، وكنت أنوي تهذيب تفسير الرازي، وشرح وتوضيح «الكشاف» للزمخشري وقطعت فيه مرحلة، لكني عدلت عن هذا المشروع، لأن التهذيب يأخذ من الإنسان جهداً مضاعفاً، عندما يهذب تفسيراً يمكن أن ينتج مكانه عدة دراسات في نفس الفترة الزمنية، ولذلك عدلت عن التهذيب إلى دراسات أخرى.

ما مشروعاتكم العلمية في الوقت الحاضر؟ وهل هناك جديد كما عودتمونا دائماً؟

- أنا هذه الأيام أقوم بعمل جبهة مع أعداء القرآن، وأنوي إخراج كتابين ضمن سلسلة بعنوان «الانتصار للقرآن»، الكتاب الأول رددت فيه على القسيس الأمريكي اليهودي أنيس شروش الذي ألَّف كتاباً سماه «الفرقان الحق»، فأنجزت كتاباً في الرد عليه سميته «تهافت فرقان متنبئ الأمريكان أمام حقائق القرآن»، ويقع في ٦٥٠ صفحة، وسيكون في السوق في أقرب وقت إن شاء الله تعالى، كنت أسجل العبارة التي ذكرها شروش وأنقضها وأبين من أي موضع من القرآن أخذها، فمشيت معه خطوة خطوة.

أيضاً هناك كتاب آخر لقسيس مصري اسمه عبدالله الفادي، وكتابه بعنوان «هل القرآن معصوم؟!»، يدعي فيه عدم عصمة القرآن، وأنه بحث في القرآن بموضوعية وحياد فوجد ٢٥٠ خطأ، ما بين خطأ لغوي وفكري واجتماعي وسياسي وعقيدي وعلمي وغير ذلك، فأنا الآن متفرغ للرد على هذا الكتاب وسأسمّيه «بيان خطأ من خَطَّأَ القرآن»، وسيكون في الحلقة الثانية من هذه السلسلة.

هل من نصيحة توجهونها لطلبة العلم الشرعي وخاصة طلبة التفسير وعلوم القرآن؟

- نصيحة نقولها لطلبة العلم؛ أنه لا بد أن يعيشوا مع القرآن، وأن يحسنوا فهم القرآن، وأن يكونوا نموذجاً عمليّاً لكتاب الله تعالى، نريد أن يحملوا مهمة القرآن، أن يكونوا أصحاب مهمة ورسالة قرآنية، وأن يواجهوا أعداء القرآن، نقول لهم: أنتم تعرفون أن القرآن تشنّ عليه حرب مختلفة الجوانب، ولا بد أن ترفعوا أنتم لواء القرآن، هذا يتطلب من الشباب أصحاب العلم أن يهتموا بالدراسة والتحصيل، وألا يضيعوا أوقاتهم

أبداً، ويستثمرون كل ساعة من أوقاتهم حتى يُكَوِّنوا ثقافة موسوعية يستطيعون بها تقديم القرآن للناس، ثم نقول لهم: عيشوا مع القرآن وموتوا معه حتى يكرمكم اللّٰه بفضل كلامه سبحانه وتعالى.

لا يسعنا في نهاية هذا اللقاء إلا أن نتوجه بالشكر الجزيل لفضيلتكم على هذه الكنوز التي أتحفتنا بها، ونسأله سبحانه أن يجزيكم خير الجزاء، وأن ينفع بعلمكم إنه سميع مجيب.

قالــوا عن د. صلاح الخالدي

- يقول فضيلة أ.د. علي الصوا، أستاذ الفقه في الجامعة الأردنية:

الشــيخ صــلاح الخالدي عالم رباني، ولا أزكي على الله أحــداً، يتمتع بخلق رفيع تأثر فيــه بكتاب الله، وعالم تفســير تأثر بأخلاق القرآن الكــريم، وحقيقة له باع طويل بالعلم والتفســير، وقد نحى منحى الكتابة عن تفســير «الظلال»، وشــخصية صاحب «الظلال»، وهو متخصص به، وهذا يعكس شــخصية الشــيخ صلاح الخالدي الداعية وبصفته أحد العلماء الذين يتمتعون بفهم كتاب الله تعالى والدعوة إلى ما يتضمنه الكتاب الكريم، وهو أيضاً إلى جانب ذلك له شخصية محببة تقربه من الناس.

ويصــرف قســماً كبيــراً من جهــده ووقته في تعليــم كتاب الله في المســاجد، وخاصة مســجده الذي يصلي فيه، وكذلك الدورات الشــرعية التي اســتفاد منها الكثير من طلبة العلم الشرعي، وهو كذلك عف اللسان، ويتقبل وجهات النظر المختلفة.

- ويقــول فضيلــة أ.د. إبراهيم زيد الكيلانــي، رئيس جمعية المحافظــة على القرآن الكريم:

جزى الله الشيخ صلاح الخالدي خيراً فيما قدم للمكتبة الإسلامية من نفائس الكتب في التفسير وبالتعريف بإمام من أئمة التفسير في العصر الحديث الإمام سيد قطب.

لقد كان الشــيخ صلاح الخالدي بعلمه وبحثه وجهده كاشفاً عن كنوز سيد قطب وعن آثاره، ومساعداً للقارئ العربي والمسلم بالتعرف على كنوز هذا الإمام رحمه الله.

وقد اجتمع في منهج الشــيخ صلاح الخالدي مداد العلماء الموصول بدماء الشــهداء، والشيخ صلاح رجل دعوة.

- ويقول فضيلة أ.د. أحمد شكري، أستاذ التفسير في الجامعة الأردنية:

صــلاح الخالدي هــو العالم العامل المخلــص، قليل المثال في هذا الزمــان، لقد رأيت من كلامه ما يذكر بأحوال الســلف الصالح، وتدل كثرة مؤلفاته وتنوعها على ســعة علمه

واستثماره لوقته، وله نظرة طيبة في الموضوعات التي يبحث فيها.

- ويقول أ. عاطف الجولاني، رئيس تحرير صحيفة «السبيل» الأردنية:

الشيخ صلاح الخالدي، حفظه الله، من العلماء المعروفين، الذين يشار إليهم بالبنان في الأردن والساحة العربية، وآثاره العلمية في مجال العلم الشرعي والتوعية والإسهام في المشروع الإسلامي واضحة وجلية تشهد له كتاباته ومؤلفاته المتميزة، حيث تخصص في عدة جوانب وأبدع فيها، وكان له عظيم الأثر في التركيز عليها، وأخص بالذكر تركيزه على الخطر الصهيوني وجذوره التاريخية ومنطلقاته التوراتية التلمودية.

- ويقول زهير ريالات، صحفي قام بمحاورة د. صلاح الخالدي:

قد قُدّرَ لي أن أتتلمذ على يديه، فرأيت عالماً عاملاً بكتاب الله، تالياً له، صافي المنهج في الولاء والبراء، موالياً لأولياء الله، معادياً لأعدائه، لا تأخذه في الله لومةُ لائم، قوَّالاً بالحق، أخَّاذاً من الكتاب والسُّنة، ذاق نعمة الحياة في ظلال القرآن، فسخر وقته وقلمه في تعريف الناس بها.

- نعي هيئة علماء فلسطين للعلامة المجاهد المفسّر المربّي صلاح عبدالفتاح الخالدي:

قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣).

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين؛ وبعد:

فإنّنا في هيئة علماء فلسطين ننعى إلى أمتنا الإسلاميّة جمعاء وإلى شعبنا الفلسطينيّ وإلى أهل العلم في كلّ مكانٍ ببالغ الصبر والاحتساب شيخنا العلامة المجاهد المفسر المربي الدّاعية صلاح عبدالفتّاح الخالدي، أحد أبرز رموز العلماء العاملين، وأهل التفسير، والدعوة والتربية، عضو هيئة علماء فلسطين، والأستاذ بالعديد من الجامعات، وصاحب المؤلّفات والمصنّفات الجليلة النافعة، الذي لبّى نداء ربّه تعالى قبل قليل في العاصمة الأردنيّة عمَّان هذه الليلة الجمعة ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٤٣هـ/ ٢٨ يناير ٢٠٢٢م، عقب حياة حافلةٍ بالدعوة إلى الله تعالى وتربية الأجيال والتعليم الشرعي والحياة مع كتاب

الله تعالى تفسيراً وتعليماً ونصرة قضايا الأمة كلّها، وفي الصّدر منها قضيّة فلسطين والقدس والمسجد الأقصى المبارك.

وإنّ هيئة علماء فلسطين إذ تنعى الفقيد الكبير والعالم الجليل، فإنّها تعزّي نفسَها وتعزي علماء الأمّة قاطبة بهذا المصاب الجلل، كما تعزّي الأمة الإسلاميّة جمعاء وشعبنا الفلسطينيّ في مختلف أماكن وجوده، وتعزّي أهل شيخنا الرّاحل وأسرته وأبناءه وطلابه وتلاميذه.

وإننا نضرع إلى الله تعالى أن يتقبّل فقيدنا وشيخنا بقبول حسن، وأن يرزقه الفردوس الأعلى في صحبة النبيين والصديقين والشهداء والصّالحين، وأن يربط على قلوب أهله وأحبابه، وأن يعوّض المسلمين بفقده من يحمل الرّاية من بعده، وإنّ القلب ليحزن وإنّ العين لتدمع وإنا على فراقك يا شيخنا لمحزونون ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا لله وإنا إليه راجعون.

- نعي جمعية الاتحاد الإسلامي ببيروت:

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، تَنعى جمعية الاتحاد الإسلامي في لبنان علاّمة التفسير وعلوم القرآن الكريم الداعية المجاهد المربّي د. صلاح عبدالفتاح الخالدي.

قامة علمية حركية رفيعة تترجّل مغادرة هذه الدنيا الفانية، وداعاً للشخصية القرآنية التي أثرت مكتبة التفسير بمؤلفات نفيسة.

اللهم أعلِ مرتبته ونوّر قبره وأرِه مقعده في الجنة، رحمه الله تعالى وأغدق شآبيبَ رضوانه عليه وأسكنه من الجنة فردوسَها، ومن قصورها أعلاها وأغلاها، ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا.

- وكتب د. جمال أبو حسان:

عالم كبير فقدناه، الموت حق لا ينكره أحد، والموت مصيبة كما سماه الله تعالى في كتابه، وكل الخلائق لا محالة ماضون إلى هذا المصير، ولن يستشار أحد في هذا المصير الذي هو صائر إليه.

ولكن وقع هذا الأمر يختلف من حال إلى حال، ولا شك أنَّ مصيبة المسلمين بفقد

العلماء كبيرة، لأن أثر فقد العالم على المجتمع ليس سهلاً، بل إنه يشكل ثلمة كبيرة، وقد بلغني قبل قليل خبر وفاة العالم الكبير، صاحب القلب الكبير والخلق الكبير والجهد الكبير، الأستاذ القدير الدكتور أبو أسامة صلاح عبدالفتاح الخالدي، إذ توفي بهذا الداء الذي أرهق الناس.

عرفت الدكتور يوم كان يعطي محاضرات إضافية في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية، وكان الثناء هو سيد القول عنه في أسلوب تدريسه في الكلية، وكان يعمل أيضاً في الأوقاف إماماً وخطيباً في مسجد عبدالرحمن بن عوف في منطقة صويلح، وكان خطيباً يرحل الناس إليه، كان المسجد في زمانه مشعل نور وهداية ممَّا كان فيه من نشاط تدريسي للدكتور، ولكن الحال لا تدوم، وكان أيضاً مدرساً في المعهد الشرعي الذي انقلب إلى كلية الدعوة وأصول الدين، ثم آل إلى جامعة العلوم الإسلامية، كنت أسمع عنه من الطلاب كثيراً من الثناء حتى جئت إلى جامعة العلوم الإسلامية مدرساً، ورأيت ما لم أكن أسمع، وتملكني حينئذ قول ابن هانئ الأندلسي يوم قال:

كانت مساءلة الركبان تخبرنا
عن جعفر بن فلاح أطيب الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت
أذني بأحسن مما قد رأى بصري

هكذا كان الأمر، فقد وجدت من حسن الأخلاق وطيب المعشر أكثر مما كنت أسمع، اجتمعنا في الكلية فكنا نجلس مع أستاذ قمة في الأدب، قمة في السلوك، قمة في المعاملة، لم يكن صدره يحمل على أحد، لا من الطلاب ولا من الأساتذة ولا من الإداريين وسائر الموظفين، كان إنساناً غاية في التواضع وطيب المعشر.

ثم التقينا في تأليف التفسير المنهجي لبعض المدارس في فلسطين مع د. فضل عباس، ود. أحمد نوفل، ود. أحمد شكري، ود. صلاح الخالدي، وكنا نجتمع في بيت شيخنا د. فضل عباس، ويا له من اجتماع أثمر هذا الكتاب الذي لاقى ثناء عاطراً ممَّن قرأه، ثم ترك الجامعة وتفرغ للعمل العلمي مع ابنه العالم الفاضل حذيفة الذي سيكون مكملاً صورة أبيه النقيَّة في المجتمع المسلم.

كان الشيخ صلاح عالماً مخلصاً، يدعو إلى الإسلام ولم يظهر عليه يوماً أنه حصر الإسلام أو الدعوة إليه في حزب أو جماعة، بل كان محباً لجميع العاملين للإسلام، لم يكن متطرفاً لا في سلوكه ولا أقواله، بل كان وسطياً جامعاً، كان يحب زيارة إخوانه ويسأل عنهم، ولا تفوته هموم المسلمين، بل كان دائم التأثر والتأثير في كل من يعرف، وكان كثير التألم لما يصيب المسلمين في جميع أرجاء الدنيا.

كان رحمه الله مع كل ذلك نشيطاً في البحث والتأليف، لا يكل ولا يمل، فألّف العديد من الكتب التي شهرت في الدنيا، وكان آخر ما عني به اختصار تفسير الكشاف أو تقريبه للقارئين بلغة سلسة.

رحم الله الأستاذ الكبير والعالم النحرير، ولا شك أنا فقدنا بموته رجلاً عظيماً، وأنا مع شديد الأسى والألم نضرع إلى الله العلي القدير أن يرحمه، ويرفع درجته، ويتقبله في العاملين المصلحين، كما نسأله سبحانه أن يلهم أخانا د. حذيفة الصبر والسلوان، وأن يربط على قلبه وقلوب أهله وتلاميذه، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا فلا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

- وكتب محمّد خير موسى:

شيخنا وأستاذنا الحبيب صلاح عبدالفتّاح الخالدي يلبّي نداء ربّه ويرحلُ عن دنيانا الفانية وقد وافاه الأجل فكانَ وقعُ الرّحيل موجعاً.

تتقاصرُ الكلماتُ في حضرةِ الكبار، فتخرجُ باردةً باهتةً مهما تجلّلت بالوجع والألم والحرقة، وإنّي لأشهدُ أنّ نعيَ الكبار بقدر وجعه فإنّه من الصّعوبة بمكان، ولكنّه محاولةٌ للاقتراب من أسوار الحصون العالية، أمّا الإحاطة بالأسوار فضلاً عن الحصن فلا يستطيعه كليلُ الجواد من أمثالي.

إذا أردت أن تجمع مواصفاتٍ شتّى في رجلٍ واحدٍ وبعبارةٍ واحدةٍ فتقول: «العالم، المفسّر، القرآن المتنقّل، العامل، الجريء القوّال للحقّ، بالغ التّواضع، الدّاعية القريب، المربّي النّاصح، المضحّي بلا تردّد، المؤلّف الغزير، الهيّن الليّن مع المسلمين، القويّ الثابت مع المستبدّين، عاشق الأقصى، محبّ المرابطين المقاومين، مناصر الثّائرين»، فأنت لا تبالغ إن قلت: إنّها تعريفٌ موجزٌ لشيخنا صلاح عبدالفتّاح الخالدي.

لقد عاشَ بالقرآن وللقرآن مفسّراً ومعلّماً، فكان رجل القرآن بحقّ، وكان عنوان التضحية لأجل كلمة الحقّ بلا أي حسابات، فيقول كلمته لا يهاب أحداً، وقد ناله أذى كبير فما وهن ولا استكان ولا تقهقر.

وكان المربّي الذي يألفه الجميع، ويحبّه من عرفه بالمجالسة أو بالتواصل من بعيد أو بالقراءة من غير معرفة شخصيّة.

كانت فلسطين والقدس والأقصى تملك عليه وجدانه وقلبه وعقله ويسيلُ قلمه بذلك.

وكانت مواجهة الطغيان والاستبداد من الواضحات المُسلّمات عنده، فما توانى في مناصرة ثورةٍ من ثورات الشّعوب في مواجهة الطّغاة المستبدّين.

كانت بداية معرفتي بشيخنا الحبيب في بدايات الشّباب والطلب مع سنوات الجامعة الأولى، فكنت حريصاً على قراءة كتبه التي تجعلك توقن أنّك بين يدي عالمٍ عزّ مثيلُه في التّعامل مع القرآن الكريم، وكان اللقاء الأوّل في دمشق قبلَ أكثر من ثلاثة عشر عاماً، فكان في اللقيا أجلّ مما رسمت له من صورةٍ في مخيال طالب العلم التوّاق للقاء شيخه وقد قرأ له الكثير من كتبه، فكان بتواضعه يزداد هيبة ووقاراً.

وبعد أن استقرّ بي المقام في إسطنبول استمرّ التّواصل مع شيخنا الحبيب، وما فتئ يغمرني بفضلِه وحبّه، فكان يرسل إليّ من عظيم تواضعه مثنياً على ما أكتب ويخبرني أنّه يتابع ما أكتبه بحبّ، وهذا والله من عظيم فضله وتواضعه ومنهاجه التربوي، فكان يشجّعني على الثّبات على مواقفي والاستمرار على النّهج الذي أكتب فيه ويعبّر لي عن حبّه لي فيزداد قلبي تدفّقاً بحبّه والشّوق له، حتّى التقيته في إسطنبول قبل بضع سنوات فكان لقاءً مؤثّراً بي أكثر من عشرات الكتب وأبلغ نفعاً من عشرات المحاضرات.

لا أملك إلّا أن أطلب من قلمي أن يتوقّف عن الكتابة ليضرع قلبي إلى ربّ الأرض والسماوات أن يجعل شيخنا في الفردوس الأعلى، وأن تكون ساعاته هذه أحلى ساعاته بلقاء الله تعالى، وأن يرزقه صحبة النبي صلى الله عليه وسلّم والأنبياء المرسلين جميعاً والصحابة الكرام في الجنان، وإنّ العين لتدمع، وإنّ القلب ليحزن، وإنّا على فرقك يا شيخنا لمحزونون، ولا نقول إلّا ما يرضي ربّنا، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون

كلمات في رثاء د. صلاح الخالدي

- كتب الأخ بسام الناصر:

رحم الله الشيخ د. صلاح عبدالفتاح الخالدي وغفر له وأكرم نزله وأسكنه فسيح جناته.

د. الخالدي عالم رباني، من أهل القرآن علماً وتفسيراً وسلوكاً وعملاً، من الغيورين على دين الله، والمعظمين لشعائره، والباذلين لعلوم الشريعة لطلابها، والثابتين على طريق الحق والاستقامة.

حضرت دروساً له في تفسير سورة البقرة في مسجد عبدالرحمن بن عوف في تسعينيات القرن الماضي، فكان يطيل النفس في تأويل الآية الواحدة وتفسيرها، ويغوص في أعماقها ليستخرج جواهرها ودررها، بما أتاه الله من رسوخ وتمكن وتفنن في الجمع بين الآيات، والربط بينها، واستخراج المعاني الرائقة والدقيقة.

اللهم أكرم وفادته عليك، وارحمه واغفر له، وأكرم نزله، وارفع درجته، ووسع له في مدخله، برحمتك يا أرحم الراحمين.

- وكتب الأخ عباس شريفة:

رحم الله العالم الجليل د. صلاح الخالدي، كان له الدور الكبير في تعريف القرَّاء بكتابات وأفكار سيد قطب وحياته، كما كانت له إسهامات في إثراء المكتبة القرآنية بمؤلفات عن التفسير وعلوم القرآن، والتاريخ الإسلامي رحمه الله رحمة واسعة، وجعل ما قدم من علم نافع في ميزان حسناته.

- وكتب تلميذه محمد راسم خلف:

قلت: يا شيخ بقدر أفسر آية.

قال: يا ابني لي ستين سنة بقرأ بالتفسير لما آجي أفسر آية بخاف.

قلت: يا شيخ ما رأيك بفلان.

قال: يا ابني لا تسألني عن الأشخاص.

كم سألته وأجاب بلا كلل أو ملل، يحبه الكبير والصغير، ضحكته لا تفارقه، لا يغضب لنفسه، وكنت إذا وصفته بالعالم لا يعجبه ويقول: أنا ختيار مسكين بصلي بهذا المسجد.

زرته مرة في بيته فسألته الوصية، فأوصاني بالقرآن.

إن شهدت لك معلمي فشهادتي مجروحة، رحم الله الشيخ المجاهد المفسر الفقيه الأديب المتواضع الشيخ الوقور د. صلاح عبدالفتاح الخالدي، رحم الله أبا أسامة الصادح بالحق، الذي لا يخشى لومة لائم، ولا يضره عتاب محب، رحم الله الأب المربي والجار الطيب، رحم الله معلم الناس الخير، الذي علق قلوب الخاصة والعامة بكتاب الله، رحم الله الشيخ رحمة واسعة.

- وكتب سيد عبدالماجد الغوري:

إلى جَنَّات الخُلْد، الشيخُ المربِّي، العالم المجاهد، الداعية المفكّر، المفسِّر البَحَّاثة، المؤلِّف المُكثِر المتميّز، أستاذ الأجيال، صاحبُ المؤلّفات النافعة الجليلة د. صلاح عبدالفتّاح الخالدي الفلسطيني ثم الأردني، الذي تُوفي صباحَ اليوم عن خمسة وسبعين عاماً قضاها في خدمة كتاب الله العزيز، إلى أنْ انتهت إليه الرئاسةُ في هذا العصر في مجال الدراسات القرآنية تعليماً وتدريساً، بحثاً وتأليفاً وتحقيقاً.

وكان، رحمه الله تعالى، قدوةً مُثْلَى لمعشر المؤلِّفين والباحثين في شرف النفس، ونُبل المقصد، والأخذ بالعزيمة، وعُلُوّ الهمّة، والدَّأب في البحث والدراسة والتمحيص والتحقيق، والإكثارِ من التأليف، والإتقانِ فيه.

أسأل اللَّه تعالى أن يتغمَّده بواسع رحمته، وأن يرزقه الفردوسَ الأعلى في صُحْبة النبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، وأن يُلهم ذويه وأقاربه وتلامذته جميلَ الصَّبر والسلوان على هذه الفاجعة، وأن يُعوِّض الأُمَّةَ بفقده مَن يحمل الرّايةَ من بعده، إنا لله وإنا إليه راجعون.

- وكتب الأخ أيمن أحمد ذو الغنى:

رحيل فضيلة الشيخ صلاح الخالدي، رحم الله فضيلة العالم الرباني الصالح الشيخ

صـلاح عبدالفتاح الخالدي الفلسـطيني الأردُنِّي، الذي وافاه الأجل مسـاء أمس الجمعة ٢٥ جُمـادى الآخرة ١٤٤٣هـ، في مدينة عمَّان، أحسَـبه مـن العلماء العاملين، ومن الدعاة المخلصين، كان سـليم الصدر، كريم اليد، سَـمحَ النفس، هيِّناً ليِّناً، وقد أخلص للدراسات القرآنيـة، وأولـى اهتمامـه التأمُّلَ فـي كتاب الله العظيـم، ودراسـة موضوعاته، ونقض أباطيل أعدائه وخصومه، وقدَّم للمكتبة العربية في هذا الجانب كتباً مهمة، من أشهرها: «تصويبـات في فهم بعـض الآيات»، و«الشـخصية اليهودية من خلال القـرآن»، «لطائف قرآنية»، «مفاتيح للتعامل مع القرآن»، «القصص القرآني.. عرض وقائع وتحليل أحداث»، «القـرآن ونقض مطاعن الرهبان»، «الكُليني وتأويلاته الباطنية للآيات القرآنية في كتابه أصـول الكافـي»، «حقائق قرآنية حول القضية الفلسـطينية»، «سِـفر التكوين في ميزان القـرآن الكـريم»، «الانتصار للقرآن أمام افتـراءات متنبِّئ الأمريـكان»، «المدخل إلى علم التفسير».

عرفته أول ما عرفته في رسالته النفيسة «الخُطة البرَّاقة لذي النفس التوَّاقة»، ثم في غيـر قليـل من كتبه التي كان يحرص أسـتاذنا الفاضل محمد علي دولة، رحمه الله، على نشرها في داره «دار القلم» بدمشق.

ثـم شـرُفت بالتواصـل معه عـام ١٤٢٧هـ في إبَّـان إدارتـي تحرير شـبكة «الألوكة» الإلكترونية، حتى سعدت أخيراً بزيارته في داره بحيِّ صويلح في عمَّان، بتاريخ ١٤ صفر ١٤٤٣هـ/ ٢١ سـبتمبر ٢٠٢١م، صحبـة أخي العزيـز أ. أحمد العلاونـة، وبحضور ولده الباحث النابه د. حذيفة الخالدي الذي شارك أباه في إخراج بعض الكتب، وكانا يعملان في تحقيق كتاب «الكشاف» لجار الله الزمخشري.

أحسـن الله عزاء أخينا د. حذيفة، وعزاء أسرة الشيخ وطلابه وأحبابه، تغمَّده الباري بعفوه ورحمته، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وجعل ما أصابه من وباء «كورونا» كفَّارة ورفعة، لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

- كتب الأخ محمد غسان الخليلي:

«ورحل الفارسُ الأول» إلى روح عالِمنا أ.د. صلاح الخالدي، تقبله الله في عليين:

أمـــنَ المـــنـــونِ وريـــبِـــهَـــا نـتـهـيَّـبُ
والـــدَّهـــرُ لـيـس بمُـعـتِـبٍ مـن أُرهـبـوا
كـــأسُ المـنـونِ عـلـى الجـمـيـعِ كـراعُـهَـا
لا بـــدَّ كـــلٌّ شـــاربٌ، فـمـحـاسـبُ
فـعـلامَ نجـــزعُ مـن حِـمَـامٍ قـد قُـضـي
مـــا الـــدَّهـــرُ إلاَّ يـومُـنَـا وسـيـغـربُ
واللّٰهُ يـقـبـضُ عـلـمَـنَـا بـرجـالِـنَـا
فـي كـــلِّ يـــومٍ عـــالِـــمٌ إذ يُـحـجـبُ
لـكـــنَّ ذكـــرَ اللّٰهِ بـــاقٍ لـلـورى
والـــذكـــرُ نـهـجُ حـيـاتِـنـا ومـــؤدِّبُ
لـكـنَ حـظَّ الـعـيـنِ فـيـضٌ مـن أسـى
فـالـعـينُ ثـكـلـى والـدمـوعُ تـصـبَّـبُ
والـقـلـبُ مـن فـزعِ الـفـجـيـعـةِ قـد دمـى
ونجـيـعُـهُ دمـــعُ الـعـيـونِ سـواكـبُ
نـرضـى بمـا قـسـمَ المـلـيـكُ بـحـكـمِـهِ
والـصـبـرُ فـي بـأسِ الحـــزونِ تَـقَـرُّبُ
وعـــزاؤُنـــا إرثُ الـفـقـيـدِ وعـلـمُـهُ
مـخـطـوطُـهُ، مـنـطـوقُـهُ، مـا يُـكـتـبُ
سـلـوانُـنـا بـتـلامـذٍ ورثـــوا الـهـدى
وعـلـى خـطـاهُ سـوفَ يـبـقـى المـأربُ
أصـــلاحُ إن غـادرْتَـنـا نـحـو الـعُـلا
إنَّـــا عـلـى نـهـجٍ خـطـطْـتَ سـنـذهـبُ

فمن «الظلالِ وشرحِهِ» قبسٌ لنا
نورٌ لدربِ الدارسين ومنقبُ
أم أننا ننسى «المحافظة»[1] التي
قد كنتَ أولَ فارسٍ يتوثَّبُ؟
أسرجْتَ في سُبُلِ الدُّجَى قبسَ الهدى
فإذا بهِ نارٌ هناكَ تلهَّبُ
"جمعيةٌ» للدارسينَ تشعَّبَتْ
أنهارُهَا؛ في كلِّ ركنٍ مشربُ
في كلِّ يومٍ حافظٌ يتلو الهدى
والحافظاتُ على الطريقِ توثُّبُ
ربَّاهُ عبدُكَ قد أتاكَ فقرِّبَنْ
مثواهُ إنَّكَ يا كريمُ تُقَرِّبُ

- وكتب عواد المهداوي:

لِنَارِ الحُزنِ في القَلبِ اجتِيَاحُ
عَشِيَّةَ قِيلَ: غَادَرَنَا «صَلاحُ»!
«صَلاحُ»، وأَيُّ عَينٍ سوف تُوفِي
عليكَ الدَّمعَ، لو فيهِ ارتيَاحُ؟!
فمَوتُ «مُفَسِّرِ القُرْآنِ» جُرحٌ
تَهونُ له -أيا شيخي- الجِرَاحُ!

- وكتب الأخ عياش الكبيسي:

فقدنا اليوم ركناً من أركان العلم وقامة من قامات الدعوة والتربية العالم المحقق المفسّر أ.د. الشيخ صلاح الخالدي، رحمه الله تعالى وتقبله في الصالحين من عباده مع

(١) كان د. صلاح الخالدي أول رئيس لجمعية المحافظة على القرآن الكريم التي أصبح لها ١٥٠٠ فرع في الأردن.

النبيين والشهداء، وأحسن الله عزاء أهله وإخوانه وتلامذته في الأردن العزيز وكل البلاد العربية والإسلامية.

- وكتب الأخ أ. زهير سالم:

في ذمة الله، الأستاذ المفسر، الداعية العالم العامل صلاح الخالدي رحمه الله تعالى، أستاذ جيل، ترك للأجيال من بعده أكثر أربعين كتاباً، منها: «التفسير والتأويل في القرآن الكريم»، «القرآن ونقض مطاعن الرهبان»، «مفاتيح التعامل مع القرآن»، «في ظلال القرآن دراسة وتقويم»، «سيد قطب الشهيد الحي»، «من كنوز السُّنة».

رحم الله الفقيد، وتقبله، وتقبل منه، وزاده إحساناً وعفواً وغفراناً، وجعل ما ترك من نافع العلم من الخير الجاري في حسناته، ونعزي فيه أنفسنا، والمسلمين عامة، والجامعات الأردنية التي كان يعمل فيها وطلابها، وهيئة علماء المسلمين في فلسطين، كما نعزي أسرة الفقيد خاصة وأحبابه وإخوان دربه، وإنا لله وإنا إليه راجعون..

- وكتب أحمد حسن فرحات:

رحم الله أخانا أبا أسامة د. صلاح الخالدي، وأسكنه فسيح الجنان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فلقد عادت بي الذكريات إلى أيام عملي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -أيام كان طالباً في الدراسات العليا- حيث زارني في بيتي في الرياض مع مجموعة من زملائه الفلسطينيين والأردنيين للاستشارة في موضوعات البحوث التي يمكن أن يكتبوا فيها في درجة الماجستير، وقد ذكرت لهم عدة موضوعات، كان منها «سيد قطب والتصوير الفني في القرآن» -وهو الموضوع الذي اختبأته لنفسي- حيث كنت أنوي الكتابة فيه.

غير أن الأخ صلاح هو الذي التقط الموضوع من بين زملائه جميعاً، وطلب أن يكتب فيه، وأن أشرف عليه، فسارعت لإجابة طلبه، لأن هذا الموضوع كان يعيش في نفسي، فإذا لم أكتب أنا فيه، فليكتب فيه أحد طلابي بإشرافي، ومن خلال الإشراف يمكن أن أقول كل ما عندي من أفكار وملاحظات، وهكذا كان، حيث شاركته في وضع خطة البحث، ووجهته إلى المصادر التي تفيده فيه، وكنت أتابعه متابعة دقيقة في جميع مراحل البحث، وأذكر له ملاحظاتي على ما يكتب، وأوجهه إلى بعض الجوانب التي أغفلها، وأشهد أنه

كان سريع الاستجابة لكل ما أشير به عليه.

ولما كان الموضوع موضع قناعتي واهتمامي، كنت أشير على الأخ صلاح بكل ما يمكن أن يفيده حتى في الأمور التي لم تكن تخطر على البال، وأذكر من ذلك:

أنني سمعت يوماً بأن أ. أحمد عبدالغفور عطار، العالم اللغوي المكِّي، يزور الرياض وينزل في أحد فنادقها، فاتصلت بالأخ صلاح وقلت له: استعد لمقابلة أ. أحمد عبدالغفور عطار، الصديق الحميم لسيد قطب، فعنده من المعلومات عن سيد ما ليس عند غيره، ومررت بسيارتي على الأخ صلاح، وذهبنا معاً للقاء أ. العطار حيث احتفى بنا احتفاء بالغاً، لما علم أن الأخ صلاح الخالدي يكتب عن سيد، وتحدث عن سيد قطب حديث المحب العاشق وعن ذكرياته معه، وكان مما تحدث به عن كرم سيد أن أحد أصدقائه كان يزوره في منزله ويريد الزواج، ولكنه لا يجد الأثاث المناسب لمسكن الزوجية، فلم يكن من الأستاذ سيد إلا أن تبرع له بالأثاث الذي في منزله.

ولقد ذكر كثيراً من ذكرياته مع سيد، ثم ذكر قصة عن سيد، وقال للأخ صلاح: هذه القصة للعلم، وليست للنشر، وقد ذكرها الأخ صلاح بعد ذلك، دون أن يشير إلى اسم الدولة التي ينتمي إليها السفير، وخلاصتها: أن سيد قطب أعلن أنه يريد إنشاء مجلة بمائة سهم، لمائة مشارك؛ حتى لا يكون لأحد وصاية عليها، وتأثير على حريتها، ولقد اتصل سيد بصديقه أحمد عبدالغفور عطار، وطلب إليه زيارته في منزله، ولما وصل أ. أحمد قرب المنزل وجد سيارة لأحد السفراء العرب، فلما دخل المنزل وجد سفير أحد الدول العربية وقد وضع على الطاولة رزمة من المال، قدمها السفير لإنشاء المجلة بدلاً من المائة سهم التي أعلن عنها سيد، فقال سيد: إن هذا السفير جاء يشتري دين سيد قطب وعقيدته بهذا المال، ولولا أنه كان في منزلي لكان له معه شأن آخر، ثم قال سيد: إن مثل هذه المحاولة جرت معه في أحد فنادق دمشق أثناء زيارته لكلية الآداب في جامعة دمشق عام ١٩٥٤م.

ولما انتهى الأخ صلاح من رسالته أشرت على زميلنا الشيخ محمد الراوي، رحمه الله، رئيس القسم آنذاك، بأن يكون في لجنة المناقشة: أ. محمد قطب، كذلك رغب الشيخ الراوي في أن يكون مناقشاً، وتألفت اللجنة مني باعتباري مشرفاً، ومن الشيخ محمد

قطب مناقشاً، والشيخ محمد الراوي مناقشاً، وتمت المناقشة عام ١٩٨٠م، وكانت الرسالة بعنوان «سيد قطب والتصوير الفني في القرآن»، وجاءت في قسمين؛ الأول عن حياة سيد قطب، والثاني عن التصوير الفني في القرآن.

وكانت قاعة المناقشة ممتلئة بالحضور، وجاء عدد كبير منهم ليسمع كلام أ. محمد قطب، الذي أخجل الباحث وهو يثني على الرسالة، والجهد المبذول فيها، حتى إنه قال: لو تقدم الطالب بالقسم الأول من الرسالة فقط، لاستحق الماجستير عن جدارة! وكانت المناقشة أشبه بمهرجان علمي لم تتسع له قاعة المحاضرات في الجامعة؛ مما جعل الجمهور يملأ الأفنية والممرات الملحقة التابعة للمبنى، ولما سئل أ. محمد قطب في إحدى محاضراته عن أخيه سيد، قال: اسألوا د. صلاح الخالدي؛ اعترافاً بسعة ما جاء فيها عن حياة سيد.

ولما قدم الباحث صلاح رسالة الماجستير للطباعة، أحب أن يقدم له الأستاذ الأديب عبدالله الطنطاوي، صديق أستاذه المشرف، ورفيق حياته، الذي كان يسمع منه دائماً ثناء عليه، فلم يسع الأستاذ الطنطاوي إلا أن يستجيب لطلبه، وأن يكتب له المقدمة، وقد أثنى الأستاذ الطنطاوي في مقدمته على الرسالة، وعلى الجهود المبذولة فيها، في جزأيها: الأول المتعلق بترجمة سيد، والثاني المتعلق بنظرية التصوير الفني، حيث قال في تعليقه على الجزء الأول: إن ما كتبه المؤلف -يقصد الباحث صلاح- هو جهد ضخم، قدمه في تواضع جم، وإنه خيرُ كتاب صدرَ عن سيد، فهو يترجم له ترجمة دقيقة، يبرز فيها شخصية سيد الأديب، وسيد السياسي، وسيد الداعية الحكيم المحنك.. وهذه الإيجابيات تثلج الصدور من جهة، إذ تبين عبقرية هذا الرجل العملاق، ولكنها تؤلم من جهة أخرى، إذا قارنا حياة سيد بحياة من نعايشهم اليوم من العاملين في الحقل الإسلامي.. ولعلها تكون مهمازاً يدفع هؤلاء إلى أن يكونوا مثله، وعياً وإخلاصاً وحركة، وزهداً بهذا الحطام الذي يشوه النفوس، ويخالف بين الصفوف، ويجعل الدعاة كسائر الناس لا يكادون يتميزون منهم، ولا يرتفعون عنهم إلا قليلاً.

ثم ختم مقدمته بالنص التالي: لقد اكتشف المؤلف -الباحث صلاح- مفتاحين لدراسة سيد للقرآن الجليل؛ أولهما: المفتاح الجمالي المتمثل في نظرية التصوير الفني، الذي برز

في كتابه «التصوير الفني في القرآن»، وفي بعض المواضع من كتبه وكتاباته الأخرى.

وثانيهما: المفتاح الحركي الذي برز في كتابه العظيم «في ظلال القرآن».

ولئن أخرج المؤلف كتابه الثاني عن المفتاح الجمالي، فإنه وعد أن يتابع المسير في إصدار كتاب عن المفتاح الثاني الحركي، وإننا لمنتظرون.

ثم يتابع الأستاذ الطنطاوي حديثه عن المفتاح الجمالي قائلاً: ولئن أفاد النقاد ورادة الجمال من هذا الكتاب، فإن الجمهرة الكبيرة من تلاميذ سيد والمعجبين به يتطلعون إلى الكتاب الثالث الذي يتناول الجوانب الحركية التي وعاها سيد وهو يعيش في ظلال القرآن.

وأخيراً، لا يسعني إلا أن أشد على يد المؤلف، مباركاً وطالباً منه أن يفي بما وعد، وننتظر، فتفرغه لدراسة سيد، وتخصصه بعالمه الوسيع، كفيلان بهدايته إلى جوانب أخرى لا تقل ثراء ولا روعة عن هذه الجوانب التي وعاها فكتب بها، خاصة أن الأستاذ المشرف هو د. أحمد فرحات، التلميذُ النجيب لسيد، والمعجبُ به منذ يفاعته، ولعلَّ جهود الرجلين؛ الأستاذ والتلميذ، تقضي من نفوسنا حاجة، بل حاجات، وتخدم الدعوة الإسلامية من خلال الحديث عن عبقري من رجالها، وعندئذ نستطيع أن نطمئن إلى مسيرة الدعوة، وإلى أن أبناءها البررة الذين آلوا على أنفسهم أن ينتصفوا لمعلميهم، ويرفعوا الظلم الذي حاق بهم، وإلى لقاء قريب، في كتاب جديد، والسلام على سيد في الخالدين.

ثم جاءني الأخ صلاح، بعد مناقشة رسالة الماجستير، يستشيرني في موضوع رسالة الدكتوراه فقلت له: أكمل مشوارك مع سيد قطب، واكتب عن «في ظلال القرآن.. دراسة وتقويم»، وهكذا كان، فقد شاركته في وضع خطة البحث، وتابعته بالملاحظات والتوجيهات، كما في رسالة الماجستير.

ثم حصل على درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن عام ١٩٨٤م من الجامعة نفسها، وكانت الرسالة بعنوان «في ظلال القرآن- دراسة وتقويم»، وكانت لجنة المناقشة تتألف مني باعتباري مشرفاً، ومن الأستاذين الجليلين الشيخ مناع القطان، رحمه الله، الأستاذ في الدراسات العليا في الجامعة، وأ.د. عدنان زرزور، الأستاذ بجامعة قطر.

ولا شك أن الأستاذ الطنطاوي اطلع بعد ذلك على ما أصدره الأخ صلاح مما كان ينتظره منه.

حيث صدرت رسالة الدكتوراه عن كتاب «في ظلال القرآن» بثلاثة أجزاء، تمثل المفتاح الحركي، والأجزاء هي: مدخل إلى ظلال القرآن، والمنهج الحركي في ظلال القرآن، وفي ظلال القرآن في الميزان، وهو ما كان ينتظره الأستاذ الطنطاوي من إنجاز الوعد.

وفي لقاء مجلة «الفرقان» مع د. صلاح سأله المحاور عن الميزة التي يتميز بها «الظلال» عن باقي كتب التفسير؟ فأجاب: سيد قطب كان عنده مبدأ: ما قاله الناس لا يعيد قوله، إنما كان يضيف إلى ما قاله الناس، فسيد في تفسيره لم يقف أمام تحليلات القرآن البيانية واللغوية وغيرها، فهذا موجود في التفاسير السابقة، إنما أضاف معاني جديدة غير موجودة في التفاسير السابقة، فلهذا «الظلال» لا يغني عن غيره ولا يغني عنه غيره، «الظلال» هدفه بيان روح القرآن، كيفية الحياة مع القرآن، كيف يدخل المؤمن عالم القرآن، ويخرج منه صاحب رسالة، يحمل رسالة القرآن ويواجه أعداء الله، هذه المعاني ركز سيد عليها، سيد علَّمنا كيف نواجه الحرب التي شنها الأعداء على القرآن، السابقون لم يتكلموا فيها لأنهم كانوا يكتبون لأناس كانوا يعيشون مع القرآن، فكانوا يقدمون للناس ثقافة تفسيرية، سيد لم يقدم ثقافة تفسيرية، سيد قدم للناس منهجاً تربويّاً حركيّاً مع القرآن، سيد أراد تخريج الشخصية الإسلامية القرآنية، عندما تقرأ «الظلال» تصاغ صياغة قرآنية من جديد؛ فتخرج من الظلال وأنت جاهز لكي تستوعب العلم القرآني بشكل دقيق، بعدها اذهب إلى باقي كتب التفسير، وابدأ من جديد ادرس دراسة ثقافية تفسيرية؛ فعندها تجمع ما بين التربية والحركة في «الظلال»، والعلم التفسيري في التفاسير الأخرى.

ويعجبني كلام د. أحمد حسن فرحات عندما كان يقول: «الظلال» كتب الله له القبول لأنه كتب مرتين؛ مرة بمداد العالم، ومرة بدم الشهيد، فكان العلم نوراً، والشهادة نوراً، وكذلك «الظلال» نور على نور.

ثم قلت للأخ صلاح: أنت يجب أن تكون متخصصاً ومرجعاً في كل ما كتب سيد قطب، وما كتب عنه، وأن تجمع من تراثه الموزع في المجلات ما تستطيع، وهكذا كان.

فجمع ما كتبه سيد قطب عن أمريكا بعنوان «أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب» بدلاً من كتاب سيد قطب الضائع «أمريكا التي رأيت»، وهكذا نشر بعض الرسائل التي أرسلها سيد لإحدى أخواته بعنوان «أفراح الروح».

لقد استفاد الأخ صلاح من دراسته لسيد قطب استفادة كبيرة، حيث كونت هذه الدراسة لديه قاعدة علمية متينة، انطلق بعدها ليثري المكتبة الإسلامية بمؤلفاته الكثيرة التي تقرب من خمسين كتاباً، التي تلبي حاجة الأمة الإسلامية في حاضرها، وساعده في هذا الثراء حرصه على الوقت، فلا يسمح لنفسه بأن يضيّع من وقته شيئاً، وفي ذلك يقول في حواره مع مجلة «الفرقان": حقيقة، الوقت يذهب بسرعة، ولكن ينبغي على الإنسان أن يحسن استغلاله ويحسن تنظيمه، والبركة تأتي من الله تعالى، ذكرت في أحد كتبي، وهو «الخطة البراقة لذي النفس التواقة»، كيف ينظم المسلم وقته ويستفيد منه فائدة جيدة، حقيقة أنا عندي حرص والحمد لله على الوقت، وينبغي لأحدنا أن يستعين بالله سبحانه، ويحرص على ألا يضيع شيئاً من وقته فيما لا فائدة فيه، يتقلل من الأمور الاجتماعية والمظاهر التي ليس لها داع مثل الزيارات غير المناسبة، وما يتبقى من الوقت يغتنمه بالاشتغال بالأعمال العلمية، ولا بد للإنسان أن يجمع بين الكتابة والدعوة، بمعنى أن يخصص جزءاً من وقته للكتابة والتأليف، ويخصص جزءاً آخر لتعليم الناس وإرشادهم عن طريق الدروس والمحاضرات وغير ذلك، لأن المغالاة في الكتابة فقط وترك الناس بدون دعوة غير مناسب، وأيضاً الانشغال بالدروس فقط دون كتابة لمن عنده القدرة عليها أيضاً غير مناسب، فالحل هو الموازنة بين الكتابة والدعوة ليكون الإنسان رجل علم في جانب، ورجل دعوة في الجانب الآخر.

أما بالنسبة لبرنامجي اليومي فأحب أن أقول، بداية: إنه ثبت من خلال التجربة أن أفضل شيء استغلال وقت ما بعد الفجر؛ لأن بعض الناس يضيع هذا الوقت في النوم بسبب السهر إلى وقت متأخر من الليل، برنامجي يبدأ بعد الفجر مباشرة، أستيقظ على الأذان الأول، أصلي الفجر في المسجد والحمد لله، وعندي برنامج تفسير القرآن في المسجد، مسجد عبدالرحمن بن عوف، الحمد لله عندي كل يوم درس تفسير حوالي ٧-٨ دقائق، أتناول فيه تفسير آية بشكل مختصر، بدأت بهذا الدرس قبل ١٦ عاماً

بتفسير سورة «الفاتحة»، وأوشكت الآن على إكمال تفسير القرآن كله، حيث وصلت إلى سورة «الغاشية»، لم أتوقف عن هذا الدرس إلا إذا كنت مسافراً أو مريضاً، ولعل هذا أول مرة يحصل في الأردن أن يكمل تفسير القرآن كله في مسجد واحد، وهذا بفضل الله سبحانه، الشاهد أنه بعد الفجر لا أنام، وأستغل هذا الوقت الثمين المبارك، وقت صفاء الذهن، وأنجز فيه أعمالاً جيدة، ثم أستغل الفترة من الشروق حتى الظهر بالكتابة والتأليف، ثم أذهب إلى الجامعة وغالباً تكون محاضراتي بين الظهر والعصر، أما فترة ما بعد العصر فتكون للدروس العامة للناس، أما في الليل فأنا لست ليليّاً وأحرص على النوم مبكراً، حتى إني في ليالي الصيف أنام بعد العشاء مباشرة.

كما ساعده على ذلك إخلاص في العمل، ومواكبة للحركة الإسلامية المعاصرة في نشاطها، فبقي على العهد ملتزماً بالخط الأصيل، لم يغير ولم يبدل.

لقد كان الأخ صلاح وفياً كل الوفاء لسيد قطب، ولكتبه ومؤلفاته، فحينما أخبر بأن أحد الإخوة المصريين يريد أن يعيد طباعة «في ظلال القرآن» إلى طبعته الأولى، غضب غضباً شديداً، وكتب إليَّ هذه الرسالة:

فضيلة أستاذي د. أحمد فرحات..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أخبرني الأخ أيمن.. اليوم أن بعض الإخوان المصريين يريد إعادة طبع الطبعة الأولى من «الظلال»، لتحل محل الطبعة المنقحة المنتشرة، وقد رددت عليه رافضاً هذا العبث، فأحببت أن أسمعك ذلك، والأمر إليك أستاذي الكريم الفاضل.

وقد كتبت إليه جواباً على رسالته:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

فسأحاول غداً أن أبحث عن بعض الإخوة الذين يمكن أن يكون لهم تأثير في هذا الأمر ليوقفوا هذا العبث، الذي يدل على عدم إحساس بالمسؤولية، وعدم تقدير لنتائجه.

ولكم الشكر والتقدير على متابعة الموضوع، وليس ذلك غريباً على الأخ صلاح، فهو خير من يقدر خطورة هذا الأمر، فجزاك الله خيراً على هذه الغيرة، والمفروض فيمن

يفكر بمثل هذا أن يستشير الأخ صلاح الخالدي الذي عاش طويلاً مع تراث سيد، وعرف منه ما لم يعرفه غيره، كما أشار إلى ذلك أ. محمد قطب، حين سئل عن أمر يخص أخاه سيداً، فقال: اسألوا د. صلاح الخالدي، وكما كان الأخ صلاح وفياً لسيد وتراثه، فقد كان وفياً لإخوانه وأصدقائه والمقربين منه.

ولقد كان حريصاً على زيارتي في منزلي كل ما قدمت إلى عمَّان، وكان يتحفني بكتبه الجديدة، وكنا نتجاذب أطراف الحديث في هموم الأمة، وما ينبغي عمله في مستقبل الأيام.

رحم الله الأخ صلاح الخالدي وأجزل مثوبته، وأنزله في عليين، منازل الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.

إننا نعَزّي فيه أنفسنا، كما نعَزّي الأمة الإسلامية بفقدها لواحد من علمائها البررة، الذي نذر نفسه لخدمتها بما كتب وألَّف وحاضر، كما نعزّي الحركة الإسلامية المعاصرة بفقدها لعلم من أعلامها الذي خط لها في منهجيتها الحركية معالم واضحة، كما نعَزّي فيه الحركة الفلسطينية المجاهدة، وهيئة علماء المسلمين في فلسطين.

كما نعَزّي أسرة الفقيد، وبخاصة نجله د. حذيفة الذي نرجو له أن يكون على خط والده، كما نعَزّي أساتذته وطلابه وأصدقاءه، ومحبيه، ومنابر العلم في الجامعات التي درَّس فيها، وإننا على فراقك يا أبا أسامة لمحزونون، وإنا لله وإنا إليه راجعون[1].

- محمد السيلاوي يكتب: في وداع شيخنا العلامة المفسر العالم الصالح الرباني القرآني الموسوعي صلاح عبدالفتاح الخالدي[2]

إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع على فراق شيخنا الحبيب

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

انتقل إلى جوار ربه شيخي وحبيب قلبي العلامة المفسر العالم الصالح الرباني القرآني الموسوعي د. صلاح عبدالفتاح الخالدي الذي قضى عمره في صحبة القرآن تلاوة وتدبراً وتأليفاً وتدريساً وتطبيقاً.

---

(١) المصدر: موقع رابطة العلماء السوريين.
(٢) موقع رابطة العلماء السوريين.

كان شـيخنا لا يجـد لذة أحلى ولا أغلى من سـاعة يقضيها مـع القرآن الكريم، تلاوة وتدبراً وتأملاً، يستخرج كنوزه ودرره، وعبره ومواعظه، فهذه الساعات عنده من أغلاها، والأوقـات واللحظـات من أحلاها، كيف لا تكون كذلك وهو أكثر من سـمعته يردد مقولة الإمام الشـهيد سـيد قطب رحمـه الله تعالى: «الحيـاة في ظلال القـرآن نعمة، نعمة لا يعرفهـا إلا مـن ذاقهـا، نعمة ترفع العمر وتباركـه، ولقد منَّ الله علـيَّ بالحياة في ظلال القرآن فذقت ما لم أذق قط في حياتي»، ومنه عرفتها وحفظتها.

صحبت شـيخنا المبارك سـنوات طويلة -بفضل الله تعالى- وقرأت عليه في التفسير وعلـوم القرآن واللغة والعقيـدة والحديث، وقرأت غالب -إن لم يكن كل- ما أنتجه وألفه، بحمد الله تعالى.

الله يشـهد أني أحببت شـيخنا الخالدي حباً كبيراً، فكان مثالاً وقدوة لي، أسـبغ الله عليه شآبيب رحماته ورضوانه.

رافقت شـيخنا الحبيب في الحضر والسـفر، فما وجدته إلا شـخصية مفعمة بالحب والتسـامح، مشرقة بالخصال الحميدة، والسجايا العطرة، والأخلاق النبيلة، دائم البشر، سمح المحيا، سليم القلب، ابتسامته لا تفارقه عند حديثه لجليسه، رجل طبع على الوفاء، وحفظ المعروف، كان أكثر ما يميزه صفة التواضع وهضم النفس.

منه حفظت قول الشاعر:

مَـــلأى الـسـنـابـل تـنـحـي بـتـواضـع

والـــفـــارغـــاتُ رؤوسُـــهـــن شـــوامـــخُ

كان يوصينا بالتواضع ويردد على مسامعنا في جلساته، قوله الأثير: «إذا صغر الإنسان في عين نفسه، كبر في أعين الناس، وإذا كبر في عين نفسه، صغر في أعين الناس».

وكم كان يبغض التكبر والمتكبرين، ويشبه المتكبر بالطاووس المنتفش!

من شـيم شـيخنا العطرة التـي تميز بها كذلـك الحلم والأناة، ودماثـة الخلق وحفظ اللسان، وسعة صدره وخاصة مع مخالفيه.

رحم الله شيخنا الحبيب، فقد كان زاهداً في الدنيا مدبراً عنها، لا يتطلع إلى ملذاتها،

مقبلاً على الآخرة.

رحم الله شيخنا، كان حريصاً على اغتنام وقته، منه تعلمنا قيمة الوقت وحسن الانتفاع به، والانضباط والالتزام بالموعد في وقته المحدد!

رحم الله شيخنا الحبيب كان غني النفس قنوعاً، منه تعلمت وحفظت قول الإمام الشافعي:

أَمَتُّ مَطامِعي فَأَرَحتُ نَفسي
فَإِنَّ النَفسَ ما طَمِعَت تَهونُ
وَأَحيَيتُ القُنوعَ وَكانَ مَيِّتاً
فَفي إِحيائِهِ عِرضٌ مَصونُ
إِذا طَمَعٌ يَحِنُّ بِقَلبِ عَبدٍ
عَلَتهُ مَهانَةٌ وَعَلاهُ هونُ

هكذا كان يردد إذا أكثرنا أمامه من ذكر ما يتفاخر به أصحاب التنفيعات والترفيعات من بعض أساتذة الجامعات.

رحم الله شيخنا الحبيب كان دائب الحركة والنشاط، يعيش دوماً في دعوته ولدعوته، فقد أدرك مسؤوليته العلمية وقدر أمانة العلم التي أكرمه الله بحملها، فكان نعم المعلم والمربي.

رحم الله شيخنا الحبيب رحمة واسعة وتقبله في عليين وحشره في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، اللهم آمين.

فهرس

م	الموضوع	الصفحة
١	الإهداء	٤
٢	المقدمة	٧
٣	السيرة الذاتية	٩
٤	رثاء مجلة «المجتمع»	١٦
٥	العدالة الاجتماعية في الإسلام	٢٣
٦	سيد قطب الشهيد الحي	٣٣
٧	الحق المتعدد وفصائل الحركة الإسلامية	٣٩
٨	تواريخ في حياة سيد قطب	٤٦
٩	النشاط الدعوي للدكتور صلاح الخالدي في الإعلام	٥٢
١٠	نصرة الشعب السوري عبادة	٥٤
١١	حقائق في ذكرى النكبة	٥٧
١٢	القرآن والقدس والأرض المقدسة	٦١
١٣	قصة صاحب الجنتين	٦٥
١٤	أزمتنا أزمة ثوابت	٦٨
١٥	كنيسة تخرِّج أئمة!	٧٤
١٦	فاتقوا الله ما استطعتم	٧٧
١٧	جهاد وليس مقاومة	٨١
١٨	بين التوراة كتاب الله والتوراة اليهودية المحرفة	٨٣
١٩	«الهولوكوست» في مناهجنا	٨٩
٢٠	دارفور قلعة القرآن	٩٢
٢١	مزج الأقصى بأنفسنا	٩٤
٢٢	ولا تؤتوا السفهاء أموالكم	٩٦
٢٣	يتلونه حق تلاوته	٩٨
٢٤	حوار صحفي مع د. صلاح الخالدي	١٠٠
٢٥	قالوا عن د. صلاح الخالدي	١١٣
٢٦	كلمات في رثاء د. صلاح الخالدي	١١٩

هذا الكتاب

يأتي هذا الكتاب استكمالاً لسلسلة إصدارات «المجتمع» التي تخدم قضايا الأمة الإسلامية، ومعايشة لحياة أحد علماء المسلمين في العالم الإسلامي؛ لتقتدي به الأجيال الصاعدة من البنين والبنات.

وقد وضَّح هذا الكتاب السيرة الذاتية للأستاذ الدكتور صلاح الخالدي، يرحمه الله تعالى، وكيف أنه قضى حياته في خدمة الإسلام والمسلمين.

كما ضم الكتاب رثاء مجلة «المجتمع» للعالم الجليل الذي نشرته في العدد (٢١٦٤) بتاريخ ٢٠٢٢/٢/١م عقب وفاته.

كذلك ضم الكتاب مجموعة المقالات التي قام بنشرها د. صلاح الخالدي على صفحات مجلة «المجتمع» على فترات تاريخية متقاربة.

وكذلك تحدث الكتاب عن النشاط الدعوي للدكتور صلاح في وسائل الإعلام المختلفة.

ويختتم الكتاب بكلمات العلماء في رثاء د. صلاح الخالدي، يرحمه الله تعالى.

وتتشرف مجلة «المجتمع» بإصدار هذا الكتاب، سائلة الله تبارك وتعالى القبول والسداد والتوفيق.

مركز «المجتمع» للأبحاث والمعلومات وإدارة المعرفة

تليفون: 222528684 – 965+ - 22513616 - 965+

تليفاكس: 22560525 - 965+ - ص.ب: 4850 الكويت

البريد الإلكتروني: info@mugtama.com

mugtama.com @mugtama المجتمع